مشاكل المرأة المسلمة

في الماضي والحاضر والمستقبل

تأليف

د. محمد مورو

الناشر

دار الهدى للكتاب

كفر الشيخ – بيلا – شارع الجمهورية – بجوار المحكمة

الطبعة الأولى مايو ٢٠٠٧م

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

(سورة التوبة: الآية ٧١)

اسم الكتاب : مشاكــل المــرأة المسلمة .
المؤلـــف : دكتور / محمــد مــورو .
الغـــلاف : حسين المجـدوليـة
كمبيوتر : مـــدحـت الحلفــاوى
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/١٠٤٤٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977 - 6150 - 24 -1
الطبعة الأولى: مايو / ٢٠٠٧م
ربيع ثاني ١٤٢٨هـ

الناشر
دار الهدى للكتاب
كفر الشيخ – بيلا – شارع الجمهورية بجوار المحكمة
ت: ٠٤٧/٣٦٠٤٦٠١ ــــ ٠٤٧/٣٦٠٩٦٠١

المقـــدمة

هذا الكتاب ليس دفاعًا عن المرأة المسلمة، أو عن حقوقها أو دورها في المجتمع الإسلامي، كما أنه ليس دفاعًا عن الإسلام وإظهار أنه دين أنصـف المرأة أو أعطاها حقوقها، ولكنه دعوة للمرأة المسلمة سـيدة كانـت أم فتـاة للاضطلاع بدورها الطبيعي والحتمي في النضال والجهاد من أجل اسـتعادة السيادة الحضارية لأمتنا، لأننا اليوم في حالة هزيمة حضارية وبالتالي فـإن استعادة هذه السيادة الحضارية يحتاج لجهد وجهاد ونضال كل مسلم رجلاً كان أم امرأة، نعم نحتاج لجهد الجميع من أجل الإقلاع الحضاري وكسر منحنـى الهبوط والتصدي لكافة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه أمتنا.

إن أمتنا اليوم تعيش في حالة هزيمة حضارية وتخلف علـى مسـتوى ضياع الكثير من أراضي المسلمين، واستهداف بلادهم للاستعمار والتجزئـة والاستبداد، ونهب ثرواتهم، واختراقهم سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا وإعلاميًـا وثقافيًا وبالتالي فإن كل مسلم رجلاً كان أم امرأة مطالب بالاضطلاع بواجبـه للخروج من هذه الحالة والانتصار على التحديات وتجاوزها.

ومن المفروض أن أقول مثلاً إن المـرأة المسـلمة مطالبـة بالجهـاد والنضال والمشاركة في معارك الأمة بشرط أن يكون ذلك في إطار الضوابط الشرعية، ولكنني أضيف هنا أن تلك الضوابط الشرعية ليست مطلوبـة فـي حالة المرأة فقط ولكنها مطلوبة في حالة المرأة والرجل وفي كـل موضـوع وفي كل قضية.

إن عملية النهوض الإسلامي التي نحن بصددها تتعرض لكثيـر مـن التشويش والتطويق والتزييف في محاولة لوأدها أو تطويقها، وهؤلاء الـذين

يريدون القضاء على النهوض الإسلامي من الأعداء في الداخل والخارج لم ولن يتركوا قضية إلا وأثاروا حولها الشبهات، وكلما كثرت أراجيفهم وشبهاتهم في قضية أدركنا أهميتها وخطورتها، لأنه لولا تلك الأهمية والخطورة لما اهتموا بها، فهم مثلاً يثيرون الشبهات حول قضية الجهاد لأنه الطريق الطبيعي والوحيد أمام أمتنا لانتزاع حقوقها واستعادة مكانتها الحضارية وتجاوز التحديات، وهم يثيرون الشبهات حول قضية المرأة في الإسلام، لأنهم يدركون أن المرأة المسلمة حين تشارك في الجهاد والنضال الإسلامي العام سوف تكون عاملاً مهمًا في ترجيح كفة الإسلام على أعدائه في الداخل والخارج وبالتالي تشكل خطرًا هائلاً على المشروع الاستعماري المعادي للأمة، ورصيدًا ضخمًا للمشروع الإسلامي الذي يستهدف إنهاض الأمة وتجاوز تحدياتها واستعادة سيادتها الحضارية.

وفي هذا الصدد فإننا بإزاء تيار رئيسي في الأمة الإسلامية المعاصرة يستلهم موقفه الأصيل من الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكافة مصادر ووسائل التشريع الصحيحة والمعمول بها، وهذا التيار يعرف للمرأة حقوقها ويدفعها إلى المشاركة الواسعة في معارك الأمة في كل مجال، وعلى جانبي هذا التيار الرئيسي هناك تياران هامشيان؛ أحدهما يتمثل في تيار متزمت انفرادي يخلط بين ما هو شريعة وما هو تقاليد أو عادات ويريد إخضاع المرأة المسلمة لحالة من العزلة وحبسها في التقاليد بحسبانها من الإسلام، والثاني يتمثل في تيار تغريبي مرتبط بالاستعمار يريد أن يحول المرأة إلى سلعة تجارية ويجردها من إنسانيتها ويدفعها في طريق الانحلال

والتغريب ومعاداة ثقافتها ودينها، ويزعم هذا التيار أنه يريد تحرير المرأة في حين أنه يريد تبعية المرأة والرجل والمجتمع بأسره للاستعمار والخضوع له.

ومن العجيب أن لهذا التيار الذي يزعم تحرير المرأة، موقفًا مشينًا من تحرر المجتمع كله من الاستعمار والتبعية، بل إن كل رموز هذا التيار بلا استثناء معروفون بعمالتهم للاستعمار والدعوة للخضوع له بدءًا من قاسم أمين وانتهاء بلويس عوض ونوال السعداوي، والأكثر عجبًا أن هذا التيار يرفع المومسات والمشبوهات والبغايا اللائي تهتكن مع جنود الاحتلال فيجعل منهن رموزًا لتحرير المرأة، ولا ندري كيف يكون تحرير المرأة من خلال الدعارة مع جنود الاحتلال أو الدعوة للخضوع لثقافة المحتل وعسكره.

إن الرموز الحقيقية لتحرر المرأة هن اللاتي خُضْنَ المعارك من أجل استقلال بلادهن والدفاع عن الأرض والثقافة والهوية من أمثال لالا فاطمة التي قادت انتفاضًا مسلحًا ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر في أوائل الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو شهيدات ثورة التحرير الجزائري ١٩٥٤ – ١٩٦٢ أمثال الشهيدة فضيلة سعدان أو أم محمد أو زوجة الملازم سي الأخضر أو تلك المرأة الفلسطينية التي تشارك في الانتفاضة، أو عواطف عليان وهي شابة فلسطينية تنتمي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكانت قد استعدت لقيادة شاحنة ملغومة لنسف مجلس الوزراء الفلسطيني سنة ١٩٨٨ لولا أن اكتشفت هذه العملية، أو تلك المرأة الإيرانية التي شاركت في الجهاد ضد الشاه أو تطوعت للقتال في صفوف جيش الثورة، أو المرأة السودانية التي تخرج في المظاهرات أو تمارس الجهاد ضد التمرد في الجنوب أو المرأة الأفغانية التي شاركت في تحرير بلادها من الاستعمار الروسي أو

المرأة المصرية التي شاركت في الكفاح المسلح ضد الحملة الفرنسية أو شاركت في ثورة ١٩١٩م أو تلك التي دخلت السجن دفاعًا عن عقيدتها مثل زينب الغزالي أو حميدة قطب أو تلك التي وقفت بجانب ابنها وافتخرت به بل وحققت أقصى استثمار سياسي قام به ابنها وهي أم خالد الإسلامبولي التي لولا موقفها في التضامن مع ابنها والافتخار به أثناء المحاكمة أو بعد إعدامه لضاع الأثر السياسي لحادث المنصة.

وفي الحقيقة فإن جهدنا الرئيس في هذا الكتاب سينصب على المواقف الجهادية والنضالية للمرأة المسلمة في مصر على أساس أنه من المفروض أن يقوم بإجلاء دور المرأة المسلمة في البلدان الأخرى عناصر من تلك البلاد أو على صلة مباشرة بتاريخها وحاضرها وعلى علم ودراسة بأبعاد تلك المشاركة، وهي مشاركة كبيرة وخاصة في بلدان مثل لبنان وفلسطين وأفغانستان والجزائر وإيران وغيرها.

والحديث عن الدور الجهادي والنضالي للمرأة المسلمة في مصر في العصر الحديث ما هو إلا امتداد لجهاد ونضال المرأة المسلمة في فجر الإسلام، من المعروف أن أول من أسلم كانت امرأة هي السيدة خديجة، وأول من استشهد في الإسلام كانت امرأة هي السيدة سمية أم عماد بن ياسر رضي الله عنهم جميعًا، وكذلك هناك النساء المسلمات في عصر النبوة ممن شاركن في القتال مثل أم عمارة أو من تصدى للنضال السياسي مثل أسماء بنت أبي بكر وغيرهن، وعلينا أن ندرك أن الشريعة الإسلامية لا تمنع المرأة المسلمة من الجهاد والنضال في كل الأحوال وتجعل هذا الجهاد والنضال فريضة في بعض الأحوال.

على أي حال فإن للدكتور حسن الترابي رأيًا في غاية الأهمية بصـــدد اضطلاع الإسلاميين بدورهم الطبيعي في تحرير المرأة المسلمة، يقول حسن الترابي في كتابه الهام "المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع" صـــ ٤٨ "إن الثورة على الأوضاع النسوية التقليدية آتية لا محالة، ولئن كان للإســلاميين داع من دينهم لإصلاح القديم ولطي البعد القائم بين مقتضي الدين الأمثل فـــي شأن المرأة وواقع المسلمين الحاضر فإن اتجاهات التحول في ذلك الحاضـــر تدعو بوجه ملح إلى المبادرة والتعجيل في الإصلاح الإسلامي قبل أن ينفلــت الأمر وتتفاقم الاتجاهات الجاهلية الحديثة وليحذر الإسلاميون من أن يــوقعهم الفزع من الغزو الحضاري الغربي والتفسخ الجنسي المقتحم في خطأ المحاولة لحفظ القديم وترميمه بحسبانه أخف ضررًا أو شرًا، لأن المحافظة كما قــدمنا جهد يائس لا يجدي والأوفق بالإسلاميين أن يقودوا هم النهضة بالمرأة مـــن وحل الأوضاع التقليدية لئلا يتركوا المجتمع نهبًا لكلّ داعية غربـــي النزعـــة يضل به عن سواء السبيل، ومستظهرًا بتبرم الناس من جنوح أوضاع المرأة وباتجاهات الحياة الحديثة، ذلك فضلاً عن أن الدين يقتضيهم ابتداء أن يكونوا أئمة هدي ينقذون الناس من كل ضلال قديم ألفوا علـــيهم آبـــاءهم الأولـــين ويعدلون بهم عن كل بدعة محدثة".

د / محمـــد مـــــورو

الفصل الأول

المــرأة في التصــور الإسلامي

"المرأة في الدين كائن إنساني قائم بذاته، فهي موضع للتكليـف موجـه إليها الخطاب بالدين مباشرة لا يتوسط إليها بولي من الرجال، وتحق عليهـا المسئولية متى استوت عندها أهلية الرشد وبلغتها كلمة التذكير، ولا تصـدق من المرأة استجابة لدعوة الله إلا إذا كانت أصيلة مستقلة، فالدخول في دين الله عمل عيني لا تصح فيه الوكالة ولا يؤخـذ بالإضـافة إلـى أب أو زوج أو قريب"[1].

"والشريعة الإسلامية باعتبارها تعبيرًا عمليًا عن مقتضى العقيدة تجعـل النساء شقائق الرجال ولا يتميز من دونهم بشريعة خاصة إلا أحكامًا فرعيـة محدودة ميزت بين الرجل والمرأة لتمكين كل منهما من التعبير الأصيل عـن تدينه انطلاقًا من طبيعته البشرية، لكن الأصل هو اتحاد الشـريعة وعمـوم الخطاب ولا يثبت تخصيص أو تمييز إلا بدليل، فعلى المرأة مثل الذي علـى الرجل من تكليف عيني في الشعائر الشخصية أو المسنونة "الذكر والصـلاة والصيام والحج ..." وفي الأخلاق والمعـاملات "الصـدق والعـدل والبـر والإحسان والتقوى والأدب ..." وفي الحياة العامـة "الصـبر والهجـرة إزاء الكافرين والموالاة والطاعة إزاء جماعة المؤمنين"[2].

---

(١) د. حسن الترابي – المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع – الدار السـعودية للنشـر والتوزيـع – ١٩٨٤.

(٢) د. حسن الترابي – المرجع السابق.

"وعلى المرأة نصيبها من التكليف الكفائي الذي يحرس الكيان العام للدين كما أنه يتصدى للوفاء بواجباتها وعليها الوزر إذا عطله سائر المسلمين، وقد خفف الله عنها أمر الوجوب الأولى في بعض الشئون العامة، كالنفقة على الأسرة وإقامة صلاة الجماعة والنفير إلى القتال، كما عليها أن لا تفعل شيئًا من ذلك إذا كفاها الرجل، ولكن لها أن تشارك في كل ذلك ولو توافر الرجال وعليها ذلك وجوبًا إذا لم يف الرجال، وليس لأحد أن يسد في وجهها أبواب العمل الصالح في الحياة العامة"[1].

* المرأة المسلمة في حياة الرسول ﷺ:

ووفقًا لذلك فإن المرأة المسلمة في حياة الرسول ﷺ قد بايعت الرسول بنفسه كما فعل الرجل، كما أنها أسلمت قبل الرجال فأول من أسلم من الرجال والنساء جميعًا هي السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، بل أسلمت برغم كفر أخيها أو زوجها أو أبيها ففاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها قد أسلمت قبل عمر بن الخطاب ﷺ بل كانت هي السبب في إسلامه، والسيدة أم حبيبة أسلمت قبل أبيها أبي سفيان بفترة طويلة جدًا، وزينب بنت الرسول ﷺ أسلمت قبل زوجها وكذلك أم سليم بن ملحان وأم هانئ بنت أبي طالب، كما أسلمت المرأة دون أهلها وهاجرت مثل أم كلثوم بنت عقبة، أو أسلمت رغم أنف سيدها لو كانت مولاة مثل حارثة بنت الموثل، بل وتعرضت للتعذيب بسبب ذلك، وكذلك سمية بنت خياط والدة عمار بن ياسر رضي الله عنهم أجمعين، وقد كانت سمية أول شهيدة في الإسلام، بل ثبتت المرأة على

---

(١) د. حسن الترابي – المرجع سابق.

إسلامها برغم ردة زوجها مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان [1] أثناء هجرته إلى الحبشة وقد تزوجها الرسول ﷺ بعد ذلك.

* استقلال المرأة في أمور العقيدة والتكليف:

وكل ذلك يدل على استقلال المرأة في أمور العقيدة والتكليف بلا ارتباط مع أب أو زوج أو أخ أو عشيرة، فهي كائن مستقل بذاتـــه، وهـــي موضـــع للتكليف موجه إليها الخطاب بالدين ومسئولة أمام الله تعالى.

يقول الأستاذ عبد الحليم أبو شقة [2] "الأصل في خطاب الشارع قـــرآن وسنة أنه موجه للرجال والنساء سواء بدءًا من تقرير الكرامة الإنسانية إلـــى تقرير المسئولية الجنائية، على أن هناك فوارق محدودة قررها الشارع مـــن الأصل، وأنه لخطأ فادح وعدوان على شرع الله أن يضيع هذا الأصل".

ويقول الإمام ابن رشد "الأصل أن حكمهما – أي الرجل والمرأة – واحد إلى أن يثبت في ذلك فارق شرعي".

ومن حيث الأصل، فإن الخطاب القرآني الموجه للمؤمنين، أو للناس أو للمسلمين، أو غيرهم موجه للرجال والنساء معًا، وهناك حالات يـــذكر فيهـــا النص القرآني النساء مع الرجال وذلك فضل من الله وتأكيد منه سبحانه على المساواة.

---

(١) راجع تاريخ الطبري – طبقات ابن سعد، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

(٢) عبد الحليم أبو شقة – تحرير المرأة في عصر النبوة – الجزء الأول، دار القلم – الكويت – ١٩٩٠.

مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ (٣).

وقوله تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة النساء الآية (١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٩٥).

(٣) سورة النساء الآية (١٢٤).

(٤) سورة النحل الآية (٩٧).

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (2).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (3).

وهكذا فإنه يتعين على المرأة من عملها الثواب والعقاب لا شفاعة فيه لرجل ولا حوالة عليه، فليست الأسرة وحدة حساب أو عقاب بل وحدة

(1) سورة غافر الآية (٤٠).

(2) سورة الأحزاب الآية (٣٥).

(3) سورة الممتحنة الآية (١٢).

الحساب هي الفرد رجلاً وامرأة،﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [1]، ولا يغني الزوج عن زوجته ولا يغني مؤمن عن مؤمنة باعتبار الذكورة والأنوثة وإنما البشر سواسية في حساب الله تعالى:﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [2]، ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [3]، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [4].

وقد قرر القرآن مسئولية المرأة الجنائية – فيما يدل على استقلالها – لقوله تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا

(١) سورة مريم الآية (٩٥).
(٢) سورة عبس الآيات (٣٤ -٣٧).
(٣) سورة التحريم الآية (١٠).
(٤) سورة التحريم الآيتان (١١ – ١٢).

﴿... تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢).

وقد فرض الله تعالى على المرأة المسلمة الهجرة – مثل الرجل تمامًا – لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣).

وقد جعل الله تعالى للمرأة حق الوراثة والشهادة وفقًا لقواعد الشرع في ذلك، كما فرض الله عليهن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) سورة النور الآية (٢).

(٢) سورة المائدة الآية (٣٨).

(٣) سورة الممتحنة الآية (١٠).

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [1].

والقرآن الكريم سجل الكثير من المواقف الخالدة لعدد من النساء بحيث تثبت هذه المواقف مدى ما تتمتع به المرأة من قوة إيمان أو شجاعة أو ذكاء أو غيرها، فامرأة موسى عليه السلام تمتثل لأمر الله تعالى وتلقي بابنها في البحر، وأخت موسى تظهر ذكاءها وحسن حيلتها، وفتاة مدين تثبت قوة فراستها وحسن حديثها، وامرأة فرعون تضرب المثل في الإيمان وامرأة عمران تنذر ما في بطنها الله تعالى، وخولة بنت ثعلبة تجادل رسول الله ﷺ فيسجل القرآن جدالها، وغيرهن كثيرات.

* مكانة المرأة: في السنة النبوية:

وفي السنة النبوية المطهرة نجد الكثير من المواقف والأقوال التي تؤكد على استقلال المرأة ومشاركتها في كافة أعمال المجتمع الإسلامي، ولعل عناوين الأبواب في صحيح البخاري[2]، في حد ذاتها ما يؤكد هذه الحقيقة فهناك مثلاً:

في كتاب العلم:

- باب عظة الإمام للنساء وتعليمهن.
- باب هل يجعل للنساء يومًا على حدة في العلم.

---

(١) سورة التوبة الآية (٧١).

(٢) نقلاً عن عبد الحليم أبو شقة - مرجع سابق.

وفي كتاب الصلاة:

- باب نوم المرأة في المسجد.
- باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس.
- باب صلاة النساء خلف الرجال.
- باب سرعة انصراف النساء من الصبح.
- باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد.

وفي كتاب العيدين:

- باب خروج النساء والحيض إلى المصلى.
- باب موعظة الإمام النساء يوم العيد.
- باب إذا لم يكن لهن جلباب يوم العيد.
- باب اعتزال الحيض المصلي.

وفي كتاب الجمعة:

- باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم.

أبواب الكسوف:

- باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف.
- أبواب العمل في الصلاة:
- باب التصفيق للنساء.

كتاب الجنائز:

- باب قول الرجل للمرأة عند القبر: اصبري.
- باب إتباع النساء الجنائز.

كتاب الحج:

- باب طواف النساء مع الرجال.
- باب حج المرأة عن الرجل.

كتاب صلاة التراويح:

- باب اعتكاف النساء.
- باب اعتكاف المستحاضة.
- باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه.

كتاب البيوع:

- باب الشراء والبيع مع النساء.

كتاب الشهادات:

- باب شهادة النساء.
- باب شهادة المرضعة.
- باب تعديل النساء بعضهن بعضًا.

كتاب الجهاد:

- باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء.
- باب جهاد النساء.
- باب غزو المرأة في البحر.
- باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه.
- باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال.
- باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو.
- باب مداواة النساء الجرحى.

- باب رد النساء الجرحى والقتلى.
- باب إرادف المرأة خلف أخيها.
- باب دواء الجرح بإحراق الحصير وغسل المرأة عن أبيها الدم عن وجهه.

كتاب فرض الخمس:

- باب أمان النساء وجوارهن.

كتاب التفسير:

- باب ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾.
- باب ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾.

كتاب النكاح:

- باب قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتي شئت.
- باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح.
- باب الدعاء للنسوة اللائي يهدين العروس وللعروس.
- باب النسوة يهدين المرأة إلى زوجها.
- باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس.
- باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس.
- باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة.
- باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس.
- باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة.
- باب خروج النساء لحوائجهن.

كتاب الطلاق:

- باب إذا قال لامرأته وهو كاره هذه أختي فلا شيء عليه.
- باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة.
- باب الظهار وقوله تعالى: **﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾**.
- باب التلاعن في المسجد.
- باب قول الإمام للمتلاعبين "إن أحدكما كاذب فهل منكما من تائب؟".

كتاب المرضى:

- باب عيادة النساء للرجال.

كتاب الطب:

- باب هل يداوي الرجلُ المرأةَ، والمرأةُ الرجلَ.
- باب المرأة ترقي الرجل.

كتاب الأدب:

- باب الساعي على الأرملة.

كتاب الاستئذان:

- باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال.

كتاب الحدود:

- باب الرجم بالمصلي.
- باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت.
- باب البكران يجلدان وينفيان.

كتاب الديات:

- باب قتل الرجل بالمرأة.

- باب القصاص بين الرجال والنساء في الجراحات.

كتاب الأحكام:

- باب من قضى ولاعن في المسجد.
- باب بيعة النساء.

كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة:

- باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله ليس بـــرأي ولا تمثيل.

* المرأة المسلمة في عصر الرسالة:

وإذا أخذنا في صدد المرأة ما جاء في القرآن والسنة النبوية المطهـــرة وكافة اجتهادات العلماء ووفقًا للأستاذ عبد الحليم أبو شقة فـــي كتابـــه الفـــذ "تحرير المرأة في عصر الرسالة" نجد أن المرأة في الإسلام كـــائن إنســـاني مستقل ومكلف، ولها ذمة مالية مستقلة، وهي تحظى بكل تكريم واحترام، بل هي تهاجر بنفسها ولها الحق في المشاركة في الجهاد بالسيف أو من خـــلال التمريض والمداواة وسني المقاتلين أو تزويده بالماء والطعام، وهـــي تـــرث وتشهد في القضاء، ولها الحق في طلب العلم وعمل المعروف بل هي مأمورة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وهي تشارك في العمل المهني والسياسي وتحضر الاحتفالات وتشاهد الترويح الطاهر بـــل وتشـــهد المباهلة، وهي تُعلم الرجال والنساء على الســـواء وتشـــهد صـــلاة الجمعـــة والعيدين بل وأي صلاة حتى ولـــو كانـــت العشـــاء أو الفجـــر، وتحضـــر الاجتماعات السياسية في المسجد وتناقش الرسول والصحابة بل وترد أحيانـــا

أقوال وأعمال بعض الصحابة ولها الحق في تحية الرجال أو تلقي التحية من الرجال وتحضر الولائم مع رسول الله ﷺ وأصحابه وتختلط عمومًا بالرجـــال في إطار الآداب العامة وتعمل خارج البيت لمصلحة الأسرة وتحرص علـــى استفتاء الرسول بنفسها كلما عرض أمر لها حتى تتبين حكم الشــرع وهـــي أيضًا تسأل الرجال وتحاور الرجال في أمور العلــم وهـــي تنقــل وتـــروي الأحاديث عن رسول الله ﷺ، بل يتحاكم إليها الرجال عن اخـــتلافهم، وتفـــتح بيتها للضيوف من أصحاب الرسول ﷺ بل وهي موضع استشـــارة الرســـول والصحابة وهي تعمل فـــي الزراعـــة أو الرعـــي أو الصـــناعات المنزليـــة والتمريض والمداواة أو غيرها من الأعمال المهنية، وهي تعرض نفسها على المسلمين للزواج، ولها الحق في قبول أو رفض أي زوج يتقدم لهـــا، وهـــي تبايع الرسول ﷺ بنفسها وتهاجر إلى الحبشة أو المدينة وحدها أو مع زوجهـــا وتسلم حتى لو كان زوجها أو ابنها أو أخوها كافرًا، وهي تواجه طغيان الولاة وهي بالطبع تصلي وتصوم وتزكي وتتصدق وتحج وهي تشارك في حفلات الاستقبال مثل احتفال أهل المدينة لاستقبال الرسول يوم الهجرة إلى المدينـــة، وتشارك في حفلات الزفاف وولائم الأعراس والاحتفال بالعيدين وهي تلعـــب وتغني اللعب والغناء البريء وهي تلقي بالرجل في الكثير من الأحوال عنـــد الزيارة وعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعند بذل المودة وحســـن الرعاية وعند التكريم والثناء وعند طلب الدعاء والبركة وخلال الضيافة وعند تبادل الهدايا بين الرجال والنساء وعيادة المرضى وعند المشاركة في السكنى وعند اللقاء على الطعام والشراب وخلال السفر وخلال أحوال الموت كالتأبين والدعاء والمواساة والصلاة على الجنازة، أو عند مراجع أولى الأمر أو عنـــد

الشفاعة أو الشهادة والتقاضي وتنفيذ العقوبة أو عند مراجعة أولى الأمـــر أو عند الشفاعة أو الشهادة والتقاضي وتنفيذ العقوبة أو عند المباهلـــة أو تســـمع الأخبار السارة واستعادتها أو عند التبسيط والمؤانسة أو غيرها مما أحصـــاه الأستاذ أبو شقة في كتابه الفذ "تحرير المرأة في عصر الرسالة" وكـــل ذلـــك طبعًا في إطار الآداب الإسلامية والضوابط الشـــرعية، والآداب والضـــوابط الشرعية لازمة لكل أمور المسلمين وليست خاصة بالمرأة وحدها.

***

وفي صحيح البخاري حديث هام لرسول الله ﷺ يقول: عن أبي موســـى قال قال رسول الله ﷺ "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آســـية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران".

وبعيدًا عن كل التفسيرات والتأويلات الخاصة بهذا الحديث فإن معنـــى اكتمال إنسانية شخصيتين نسائيتين أن هذا الكمال الإنساني مفتوح للمرأة مثل الرجل تمامًا، بل هذا الحديث دعوة لكل امرأة مسلمة لبلوغ أو محاولة بلـــوغ هذا الكمال الإنساني.

ومن هدي الرسول ﷺ مع النساء، أن ميمونـــة أم المـــؤمنين (زوجـــة الرسول) تعتق جاريتها دون علم الرسول ﷺ بذلك. ولم ينكر عليها الرســـول ذلك، وإنه ﷺ كان يقبل الهدية من النساء باسمهن لا باسم أزواجهن مثل هدية أم سليم بنت ملحان التي أهدت الرسول ﷺ يوم عروسه وذلك باسمها لا باسم زوجها وأنه ﷺ كان يساعد أهله في أعمال المنزل ويصحبهن فـــي أســـفاره ويستقبلهن في معتكفه ويأبى إجابة دعوة الطعام حتى تصـــحبه زوجتـــه، وإن كان مهد لزوجه موضعًا لينًا لركوبها ويضع ركبته فتصعد عليها، ويعـــرض

على زوجته النظر إلى لعب الأحباش ويقف معها حتى تنصرف هي، وإنــه كان يقوم مرحبًا بابنته ويقبلها ويجلسها عن يمينه، ومع نساء المؤمنين كان ﷺ يسمع بكاء الصبي في المسجد فيتجوز في صلاته رفقًا بأمه، وأنه يمكث قليلاً بعد الصلاة ومعه الرجال حتى تنصرف النساء أولاً، وكــان يــأمر بــإخراج العواتق والحيض ليشاركن في الاحتفال بالعيد، وإنه كان يخص النساء بنظــر يوم العيد وإنه كان يقوم طويلاً لنساء من الأنصار ويعلن حبه لجماعتهن وأنه كان يسمع الحداد فيوصي أن يخفف رفقًا بالنساء، وأنه يشفق على امرأة تحمل النوى فينيخ راحلته ليحملها خلفه، وأنه أذن لعثمان في التخلف عن غزوة بدر ليرعى زوجته المريضة ويأمر رجلاً أن يدع الخروج للجهاد ليصحب زوجه في رحلة الحج ويأسف يوم دفنت امرأة دون إعلان ويخرج مع بعض صحبه ليصلي عليها [1] حتى مع غير المسلمات فإنه ﷺ يغض الطرف عن ســخرية امرأة ويتحرى حال امرأتين فزعتين ويكافئ امرأة بعد تسخيرها في مصــلحة المسلمين، ويقبل هدية امرأة ثم يسامحها رغم دس السُّمِّ في الطعام، وينهي عن قتل النساء في العراء ويغض النظر عن سباب امرأة ويدعو لها بالهداية [2].

وإذ استعرضنا بعضًا من رؤوس الموضوعات التي تناولها الأستاذ عبد الحليم أبو شقة في موسوعته تحت عنوان "تحرير المرأة في عصر الرسالة – دراسة جامعة لنصوص القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم" نجد أنهــا اشتملت على "الرجل والمرأة من أصل واحد – مسئولية المرأة الإنســانية – تحريرها من مظالم الجاهلية – تأكيد شخصيتها – مكانتهــا فــي الأســرة –

---

(١) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

(٢) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

مشاركتها الرجال في وجوب الهجرة من أرض الكفر – مشاركتها الرجال في الهجرة إلى المدينة – مشاركتها الرجال في مبايعة رسول الله ﷺ – مشاركته الرجال في الموالاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – مشاركتها الرجال في الشدائد – مشاركتها الرجال في المباهلة – مسئوليته الجنائية – أهليتها للشهادة – مشاركتها في الحياة الاجتماعية ولقاؤه الرجال – المرأة تتلق مع الرجل دعوة الله منذ اليوم الأول – المرأة تسبق قومها وزوجها إلى الإيمان بالدين الجديد – حقها في التربية والتعليم لتقوم بمسئوليتها بكفاية – مشاركتها في رواية السنة – مشاركتها في العبادات الجماعية – مشاركتها في الاحتفالات العامة – مشاركتها في خدمة المجتمع بالنشاط الاجتماعي المتنوع مشاركتها في قوات الجيش في أعمال تناسب طبيعتها – مشاركتها في العمل المهني بما يتوافق مع مسئوليتها الأسرية – تكريم الله تعالى لها – تكريم رسول الله ﷺ لها – الإسلام يحض على جميل رعايتها – مشروعية ذلك اسم المرأة وأوصافها وأخبارها في حدود الآداب الشرعية – بذل المرأة النفس في سبيل الله – الطموح بالكمال – الإقبال على العبادة – الصدقة والبذل – بر الوالدين في حياتهما وبعد مماته – حسن التوكل على الله – الصبر على المصيبة – الاستمساك بالعفو – سرعة الاعتراف بالذنب – الحرص على التطهر بالرجم – النساء يطالبن الرسول ﷺ بمزيد من فرص التعليم – أسماء بنت شكل تغالب الحياء لتتفقه في الدين – سبيعة بنت الحارث تعرف كيف تتحرى لتصل إلى اليقين – المرأة الخفية وهي شابة يشغلها حكم الحج عن أبيها – المرأة تتمسك بحقها في اختيار الزوج – المرأة تتمسك بحقها في مفارقة الزوج – عاتكة بنت زيد زوج عمر بن الخطاب تتمسك بحقها في

شهود الجماعة – المرأة تمارس بعض الحرف لكسب المال وتتصدق – النساء يلبين الدعوة إلى الاجتماع العام في المسجد – أم كلثوم بنت عقبة تفارق أهلها جميعًا وتهاجر فرارًا بدينها – أم حرام تطلب الشهادة مع غــزاة البحــر – أم هانئ تجير محاربًا وتشكو أخاها المعترض – هند بنت عتبة تحيي رسول الله ﷺ إثر إسلامها – أم أيمن يشغلها ويحزنها انقطاع الوحي بموت رسول الله ﷺ – زينب بنت المهاجر تحاور أبا بكر الصديق – حفصة بنت عمر تســتدرك على عبد الله بن عمر – أم يعقوب تحاور عبد الله بن مسعود – أم الــدرداء تنكر على الخليفة عبد الله بن مروان.

وغيره من الموضوعات التي جاءت في تلك الموسوعة العظيمة، والتي تؤكد كلها على مدى ما تمتعت به المرأة المسلمة من حقوق في صدر الإسلام ومدى مشاركتها في الحياة العامة للمجتمع الإسلامي.

الفصل الثاني

المشاركة السياسية للمرأة

المسلمة في صدر الإسلام وجهادها في سبيل الله

لعبت المرأة المسلمة دورًا أساسيًا وجهاديًا كبيرًا في صدر الإسلام، وذلك لأن الإسلام قد حرر المرأة وفتح لها الباب واسعًا بل أوجب عليها المشاركة في بعض الأمور السياسية وترك لها البعض الآخر اختياريًا، ولا شك أن هذا المبدأ الذي ثبت من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ووقائع صدر الإسلام يؤكد على ضرورة مشاركة المرأة في الجهاد السياسي والاجتماعي بل والعسكري في كل عصر وفقًا لحاجات وظروف العصر. ولا شك أننا الآن أحوج ما نكون إلى هذه المشاركة من المرأة المسلمة لأن أمة الإسلام تواجه حاليًا تحديات ضخمة تحتاج لجهود المرأة والرجل معًا.

ولقد ساهمت المرأة المسلمة في صدر الإسلام بجهد هائل في الدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة في القتال بكافة الوسائل والهجرة وتحمل الأذى والتعذيب وغيرها من أشكال المشاركة السياسية.

فأول من استجاب إلى دعوة الإسلام امرأة وهي السيدة خديجة بن خويلد، وكان لاستجابتها وتصديقها أثر هائل في تثبيت قلب الرسول ﷺ مما ساهم في نجاح الدعوة، وكذلك ساهمت السيدة خديجة بأموالها ونفوذها وسمعتها الطيبة في الترويج لهذا الدين الجديد، وقال قولتها الخالدة لرسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحي إليه وتكليفه بالرسالة قالت "كلا والله ما

يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ، وتُكسِب المعدوم، وتقري الضيف.. إلخ"[1].

وكانت المرأة في بعض الأحيان أسبق إلى الإيمان من أبيها مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان التي أسلمت وهاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة ولم يزل أبوها أبو سفيان مشركًا [2].

أو أسبق من أخيها مثل فاطمة بنت الخطاب التي أسلمت قبل عمر بن الخطاب بل كانت سببًا في إسلامه [3].

أو تسبق زوجها إلى الإسلام مثل أم سليم، ومثل حواء بنت يزيد الأنصارية وغيرهما[4].

والمرأة المسلمة تثبت على الإسلام رغم ردة زوجها، فها هي أم حبيبة بنت أبي سفيان التي أسلمت مع زوجها الأول عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة، فلم ارتد زوجها أثناء الهجرة في الحبشة ثبتت هي على الإسلام ثم هاجرت إلى المدينة وتزوجها الرسول ﷺ بعد ذلك[5]، والمرأة المسلمة تسبق مواليها إلى الإسلام رغم ما في ذلك من خطر تهديدها من

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أسلم أبو سفيان عام الفتح.

(٣) فتح الباري.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد.

هؤلاء الأسياد مثل حمامة وأم عبيس والنهدية وابنتها وزنيرة وجارية بني عدي وغيرهن[1].

بل وتسبق أهلها جميعًا إلى الإسلام مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط [2] وقد أسلمت بعد صلح الحديبية فجاء أهلها يسألون الرسول ﷺ أن يردها إليهم فلم يقبل ذلك.

وقد تعرضت المرأة المسلمة للتعذيب والإيذاء النفسي والبدني بسبب إسلامها ولكنها تمسكت بالإسلام وصبرت على الأذى، فها هي السيدة سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر تصبر عند التعذيب وتصر على الإيمان إلى أن يضيق بها معذبها وهو أبو جهل فيضربها بحربة فتكون أول شهيدة في الإسلام، وهاهي فاطمة بنت الخطاب يضربها أخوها عمر بن الخطاب عندما يعلم إسلامها فتصبر وتواجهه بالحق فيذعن لها ويُسلم ويكون هذا سببًا في إسلامه.

ومن النساء اللاتي تعرضن للتعذيب بسبب إسلامهن أم حمامة وأم عبيس، وزنيرة، والنهدية وابنتها، وجارية بنت بني عدي وكان عمر بن الخطاب يعذبها على الإسلام قبل أن يسلم [3].

وهاجرت المرأة فرارًا بدينها مثل أم حبيبة وأم سلمة وأسماء بنت عميس وأم خالد ابن سعيد بن العاص، ورقية بنت النبي ﷺ وسهلة بنت سهل

(١) البخاري – كتاب المناقب – باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٣) ابن عبد البر، كتاب الدرر في المغازي والسير.

امرأة أبي حذيفة وليلى بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة وغيرهن[1]، كما هاجرت الكثيرات إلى المدينة قبل هجرة الرسول أو بعدها إلى المدينة ومنهن من هاجرت مع صحبة من الرجال أو النساء ومنهن من هاجرت وحيدة مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ووليدة وغيرهما[2].

وقامت المرأة المسلمة بدورها في الدعوة إلى دين الله فها هي أم شريك القرشية تسلم وتدعو قومها إلى الإسلام، والمسلمون يومئذ قلة مستضعفة، وكانت تدخل على نساء قريش وتدعوهن وتُرغِّبهن في الإسلام[3]، وها هي أم سليم امرأة أبي طلحة عندما جاء أبو طلحة ليخطبها فدعته إلى الإسلام وسفهت له الشرك وجعلت مهرها إسلامه فأسلم وتزوجها وكان ذلك مهرها، قال ثابت البناني " إني ما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم: الإسلام"[4].

وعن عمران بن حصين: "أنهم كانوا مع النبيﷺ في مسير.. وقد عطشنا عطشًا شديدًا، وبينما نحن نسير إذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها: أين الماء؟ فقالت: إيه لا ماء. فقلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة. قلنا: انطلقي إلى النبي ﷺ.. فأمر بمزاديتها.. فملأنا كل قربة معنا وأداوة غير إننا لم نسق بعيرًا وهي تكاد تبض من الملء ثم قال: هاتوا ما

---

(١) فتح الباري.

(٢) البخاري- باب توبة المرأة في المسجد .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني.

(٤) صحيح النسائي – كتاب النكاح باب التزويج على الإسلام.

عندكم، فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها قالت: أتيت أسحر النـــاس أو هو نبي كما زعموا فهدى الله ذلك الصَّرم وتلك المرأة فأسلمت وأسلموا"[1].

وكانت النساء تبايعن رسول الله ﷺ باعتباره رسولاً وباعتباره إمامًا أي باعتباره مُبلغًا عن الله قائدًا لجماعة المسلمين ومما يؤكد وجود الاعتبار الثاني قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ وقوله ﷺ عن طاعة الأمير: "إنمـــا الطاعة في المعروف"[2].

وقد شهدت النساء بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك (.... فاجتمعنـــا عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلاً ومعنا امرأتان أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن، وأسماء بنت عمر بن عدى إحدى نساء بني سلمة)[3].

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال "شهدت الصلاة يوم الفطـــر مـــع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطـــب بعـــد. فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

(٣) فتح الباري.

(٤) سورة الممتحنة الآية (١٢).

أتى النساء مع بلال فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ: أنتن على ذلك وقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها، نعم يا رسول الله، لا يدري الحسن من هي، قال: فتصدقن وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال"(١).

وكانت المرأة المسلمة تجير على رسول الله ﷺ فلا يرد جوارها، مثل أم هانئ بنت أبي طالب التي أجارت ابن هبيرة فأراد علي بن أبي طالب أن يقتله، فذهبت أم هانئ إلى رسول الله ﷺ وقالت له ذلك، فقال رسول الله ﷺ:"قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"(٢).

والمرأة المسلمة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، فهاهي أسماء بنت أبي بكر ترحب بلقاء رجل فقير يطلب معروف وتسمح له بالبيع في ظل دارها، بل وتحتال مع الرجل على زوجها ليسمح له بذلك، عن أسماء قالت: جاءني رجل فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك، قالت: إني رخصت لك أبي ذلك الزبير، فتعالى فأطلب إلى الزبير شاهد فجاء فقال: يا أم عبد الله إني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل أدرك، فقالت: ما لك بالمدينة إلا داري! فقال لها الزبير: ما لك أن تمنعي رجلاً فقيرًا يبيع، فكان

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

يبيع إلى أن كسب.. [1]، وها هي أم شريك الأنصارية تفتح بيتها للضيفان فينزل عليها المهاجرون من أصحاب رسول الله ﷺ وكأنه منتدى للخير [2]، عن فاطمة بنت قيس قالت: "قال لي رسول الله ﷺ انتقلي إلى أم شريك – وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان – فقلت: سأفعل، فقال: لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان" وفي رواية "بآيتها المهاجرون الأولون"[3].

وفي إطار النهي عن المنكر فها هي أم الدرداء امرأة الصحابي الجليل أبي الدرداء تتصدى للخليفة عبد الملك بن مروان فتنهاه عن منكر صدر منه، وذلك عندما قام الخليفة عبد الملك بن مراون بلعن خادمه، فقالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقالت سمعت أبا الدرداء يقول قال رسول الله ﷺ: "لا يكون اللعناء شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"[4].

ولعل الآية القرآنية الكريمة قد أوجبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرجال والنساء على حد سواء لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

(١) رواه مسلم.
(٢) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ (١).

وها هي امرأة من المسلمين تأمر القوم بالمعروف عندما ترى أحد المسلمين يؤم المسلمين وهو يرتدي بردة قصيرة إذا سجد تقلصت فتطلب من المسلمين أن يغطوا عورة هذا القارئ وهو سلمة أبو عمر فيقوم المسلمون بشراء قميص له، ويقول عمر ابن سلمة عن أبيه في هذا الصد (... وكانت عليَّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنها است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصًا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص"(٢).

وفي إطار معارضة الحاكم المسلم فالسيدة عائشة رضي الله عنها تعارض الإمام عليا رضي الله عنه، وها هي السيدة أسماء بنت أبي بكر تواجه الحجاج بن يوسف الثقفي وتصفه بالمبير أي الكثير القتل قائلة له "أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه"(٣).

وهي نفسها التي تشجع ابنها على المضي في المعارضة قائلة له "وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها".

---

(١) سورة التوبة – الآية (٧١).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

ولعل من أهم الوقائع المشهورة في صدر الإسلام إنكار امرأة على عمر بن الخطاب وهو فوق المنبر أمام المسلمين جميعًا عندما دعاهم إلى تقليل المهور وقد أقر عمر برأيها قائلاً "أصابت امرأة وأخطأ عمر".

وفي إطار اهتمام المرأة المسلمة بأمور السياسة في صدر الإسلام فها هي زينب بنت المهاجر يشغلها مستقبل الأمة الإسلامية وتتحدث مع أبي بكر في ذلك[1]، وتقول له "ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية، قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم، قالت: وما الأئمة، قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعون، قالت:بلى، قال: فهم أولئك على الناس"[2].

وها هي عائشة تتحرى أحوال أحد الأمراء. عن عبد الرحمن بن شماس قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت: من أنت: فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئًا إنه كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة.. "[3].

وكانت المرأة في صدر الإسلام تشير على الرسول ﷺ وصحابته فها هي أم سلمة تشير على الرسول ﷺ يوم الحديبية مشورة عظيمة يكون فيها نجاة المسلمين، ذلك أن بعض المسلمين شعر بالضيق من شروط صلح الحديبية، فلما أبرمه الرسول ﷺ وجاء إلى المسلمين يطلب منهم أن يقوموا

(١) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

فينحروا ثم يحلقوا ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقـم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بـدنك وتـدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك. نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعض ..."[1].

وقد حفظت لنا كتب السيرة أخبار أم سليمة تشير على رسول الله ﷺ يوم حنين، وحفصة تشير على أخيها عبد الله بعد طعن عمر بن الخطاب، وكذلك حفصة تشير على أخيها عبد الله يوم التحكيم بين علي ومعاوية فقد أشـارت عليه بحضور التحكيم والصلح ففعل.

وشاركت المرأة في رواية الأحاديث النبوية الخاصة بالهدي النبوي في مجال السياسة مثل أم سلمة وعائشة وأم الحصين[2].

وكانت المرأة المسلمة من قوة الشخصية والثقة بالنفس وبالدين، وكذلك كان المجتمع الإسلامي بالنسبة لها يحفظ لها مكانتها ويحترمهـا لدرجـة أن كثيرات من المسلمات كن يخالفن الرجال من الصحابة في كثير من المواقف والآراء دون أن يستنكر أحد عليهن ذلك، فها هي حفصة بنت عمر تسـتدرك على عبد الله بن عمر عن نافع قال: لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال له قولاً أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة فدخل ابـن عمـر علـى

---

(١) رواه البخاري.

(٢) راجع في هذا الصدد عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

حفصة وقد بلغها فقالت له: رحمك الله ما أردت من ابن صائد! أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنما يخرج من غضبة يغضبها"[1].

وكذلك استدراك أم يعقوب وحوارها مع ابن مسعود، وجدال خولة بنت ثعلبة مع رسول الله ﷺ حول ظهار زوجها منها، ومواجهة أسماء بنت قيس لعمر بن الخطاب يوم قلل من شأن هجرة أصحاب السفينة، ومواجهة أم سلمة لعمر بن الخطاب يوم إنكاره على نساء النبي مراجعتهن له، واستدراك فاطمة بنت قيس على القائلين بوجوب إقامة المطلقة ثلاثًا في بيت الزوجية فترة العدة، أما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد استدركت على كثير من الصحابة في كثير من الأمور مثل استدراكها على عبيد الله بن عمير في طريقة اغتسال النساء واستدراكها على رواية عبد الله بن عباس في شأن الهدي، واستدراكها على قول ابن عمر بشأن تطيب المحرم وكذلك استدراكها على أبي هريرة وغيرهم من الصحابة، وقد أورد الزركشي استدركها على ثلاثة وعشرين من أعلام الصحابة مثل بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وبلغ عدد استدراكاتها تسعة وخمسين، وقد ألف الزركشي كتابًا قصره على موضوع واحد هو استدراكًا السيدة عائشة على الصحابة وأسماء "الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة"[2].

ولقد شاركت المرأة المسلمة في صدر الإسلام في القتال بطرق متعددة فقد كن يشاركن في حمل القرب إلى الناس في الغزو، فعن ثعلبة بن مالك

(١) رواه مسلم.

(٢) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

" .... قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد"[1] ويقصد أم سليط وهي من نساء الأنصار ممن بايع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب ... على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم يجيئان فتفرغانه في أفواه القوم"[2].

ومنها مداواة الجرحى

فعن أنس بن مالك قال "كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى "[3].

وعن الرُبيع بنت معوذ قالت "كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى"[4].

وكذلك رد الجرحى والقتلى إلى المدينة.

عن الرُبيع بنت معوذ قالت "كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة"[5].

وقامت بعض النساء يحملن السلاح للدفاع عن أنفسهن، فعن أنس أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معه فرآها أبو طلحة فقال: يا رسول الله

---

(١) رواه البخاري وتزفر لنا القرب: أي تحملها.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هــذا الخنجــر؟ قالــت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعــل رســول الله ﷺ يضحك[1].

وقد شارك في غزوة خيبر على سبيل المثال خمس عشرة امرأة هن أم سنان الأسلمية، أم أيمن، وسلمى مولاة رسول الله ﷺ، وامرأة أبي رافع كعيبة بنت سعد الأسلمية، أم مطاع الأسلمية، أم بنــت قــيس الغفاريــة، أم عــامر الأشهلية، الضحاك بن مسعود الحارثية، هند بنت عمرو بن حــرام، أم منبــه بنت عمرو، أم عمارة نسبية بنت كعب، أم سليط النجارية، أم سليم، أم عطية الأنصارية، أم العلاء الأنصارية"[2].

بل وشاركت النساء أحيانًا في القتال مباشرة فها هي صفية بنــت عبــد المطلب كانت في أحد الحصون في غزوة الخندق ويسمى "حصن فارع" فلما شاهدت أحد اليهود يحوم حول الحصن نزلت إليه بعامود في يديها فصــرعته وبرهنت على مدى قوتها وبطولتها وشجاعتها[3].

وها هي نسبية بنت كعب الشهيرة بأم عمارة، تثبت بجانب الرســول ﷺ في غزوة أحد عندما حاصره المشركون بسيوفهم وتقوم بالقتال بالسيف ضــد الكفار وجهًا لوجه بشجاعة نادرة حتى تصاب ثلاث عشرة إصابة إحداها في

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٣) سيرة ابن هشام.

عنقها وقد نزف منها الدم بغزارة دون أن تتزحزح عن مكانها دفاعًا عن الرسول ﷺ[1].

وهاهي السيدة أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب عندما شاهدت أبا لهب وهو يهجم على أبي رافع ويطرحه أرضًا ويحاول قتله تعالجه بضربة قوية من عامود حديدي فوق رأسه فيصاب بإغماء وينجو ذلك الصحابي أبو رافع، وقد ظل أبو لهب طريح الفراش حتى هلك[2].

بل وتصل المرأة المسلمة إلى الذروة في صبرها وجلدها على المصائب فها هي الخنساء التي قامت بحث أبنائها الأربعة على الجهاد في سبيل الله والخروج إلى معركة القادسية فلما استشهدوا جميعًا صبرت صبرًا جميلاً عندما علمت بذلك وقالت قولتها المشهورة "الحمد الله الذي شرفني بقتلهم، وإني لأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته".

وقد سجلت كتب السيرة الصبر والاحتساب لكثير من المسلمات الأوائل مثل حمنة بنت جحش التي فقدت في معركة واحدة زوجها مصعب بن عمير وخالها حمزة ابن عبد المطلب فلم تزد عن قولها: إنا الله وإنا إليه راجعون.

ولقد ظلت المرأة المسلمة دائمًا في طليعة المجاهدين دفاعًا عن الإسلام في مختلف المعارك بعد ذلك حتى أن المستشرق المعروف إدوارد جيبون يقول "إن هؤلاء النساء اللاتي تعودن الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة.

بالنبل هن اللاتي إذا وقعت إحداهن في الأسر، تكون قادرة على صيانة عفتها وحفظ دينها وكرامتها في مواجهة أي إنسان تحدثه نفسه أن يريده بسوء"[1].

وهكذا فإن المرأة المسلمة وإن لم يفرض عليها الجهاد، فإن الباب مفتوح لمن أرادت منهن التطوع وأنست من نفسها قوة ورغبة، هذا حين يكون الجهاد فرض كفاية، أما حين يكون فرض عين ولم يُفِ الرجال بالحاجة وجب على المرأة القادرة الخروج إلى الجهاد[2].

---

(١) إدوارد جيبون – سقوط الدولة الرومانية.

(٢) عبد الحليم أبو شقة – مرجع سابق.

الفصل الثالث

الجهاد والنضال السياسي

للمرأة المسلمة المصرية في التاريخ المعاصر

ونقصد بالتاريخ المعاصر لمصر تاريخها منذ الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م، وهو تاريخ شهدت فيه مصر مثلها مثل غيرها من بلدان العالم الإسلامي العديد من عمليات الغزو العسكري والاحتلال الأجنبي ومحاولة طمس هويتها الحضارية والثقافية، وكان للمرأة المسلمة في مصر بالضرورة واستنادًا إلى الوجدان الإسلامي دورها في مقاومة الاحتلال والتغريب والاستبداد والتمسك بالهوية الحضارية والثقافية والتأكيد على الذات والمشاركة في مجمل النضال الوطني دفاعًا عن الدين والأرض.

جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ وكان الهدف منها احتلال مصر والقضاء على تميزها الحضاري والثقافي وربطها بفرنسا، وهبَّ الشعب المصري كله للدفاع عن الوطن والثقافة ضد المحتل الكافر، واندلعت المقاومة المسلحة في كل مكان من مصر، في الوجه البحري والقبلي والقاهرة، وكانت المرأة المسلمة في مصر في القلب من هذه المقاومة. فبمجرد نزول الحملة في الإسكندرية كان الرجال والنساء في خندق المقاومة.

يقول الرافعي "احتشد الأهالي الذين يحملون السلاح على الأسوار وفي الأبراج التي تتخللها للدفاع، فلما اقترب الجيش الفرنسي وقبل أن يبدأ هجومه صعد نابليون على الربوة المقامة عليها عامود السواري ورأى أهل الإسكندرية محتشدين بأعلى الأسوار مشاة وركبانا، رجالاً ونساءً، كبارًا

وصغارًا ومعظمهم مسلحون بالبنادق والرماح، فأصدر أمره بالهجوم العام وأخذ الأهالي يطلقون النار وانتهى الأمر بدخول المدينة وكانت مقاومة الأهالي قد فدحتهم بالخسائر فهاجموا الناس في بيوتهم فدافع هؤلاء عن أنفسهم وأخذوا يطلقون الرصاص من البيوت على الجنود المهاجمين وكاد نابليون نفسه أن يصاب برصاصة قاتلة"(١).

ويقول بوربين سكرتير نابليون الخاص "دخل بونابرت المدينة من حارة لا تكاد لضيقها تسع اثنين يمران جنبًا لجنب وكنت أرافقه في سيره، فأوقفتنا طلقات رصاص صوبها علينا رجل وامرأة من إحدى النوافذ واستمرا يطلقان الرصاص فتقدم جنود الحرس وهاجموا المنزل برصاص بنادقهم وقتلوا الرجل والمرأة"(٢).

واستمرت المقاومة في الإسكندرية بعد احتلالها، وكذلك في كل المدن والقرى التي سارت بها قوات الحملة حتى وصلت إلى القاهرة، وقد استخدم المؤرخون ألفاظ الأهالي، والجموع، والناس لوصف المقاومين مما يدل على اشتراك النساء في المقاومة؛ لأنه لو لم تكن النساء تشارك لاستخدم المؤرخون كلمة الرجال مثلاً أو الجنود، حتى نلاحظ أن المقاومين استخدموا البنادق والسيوف وكذلك الأحجار وأن المقاومة كانت من المساجد والشوارع والبيوت وأسطح المنازل؛ مما يدل على اشتراك النساء فيها، وخاصة تلك التي تنبعث من المنازل أو أسطح المباني أو تلك التي كانت الحجارة هي سلاحها.

---

(١) عبد الرحمن الرافعي – تاريخ الحركة القومية تطور نظام الحكم في مصر – الجزء الأول – دار المعارف – الطبعة الخامسة – ١٩٨١ ص ١٧٠.

(٢) مذكرات بوربين سكرتير نابليون الخاص – الجزء الأول.

أما في ثورة القاهرة الأولى فقد استخدم أيضًا المؤرخون من المصريين والفرنسيين على حد سواء ألفاظ الجموع، والأهالي، والناس، والحشود مما يدل على اشتراك كل أهل القاهرة من رجال ونساء فيها، ومما يُعدُ دليلاً قطعيًا يبين مشاركة النساء في ثورة القاهرة الأولى هو قول المسيو بورين سكرتير نابليون الخاص في مذكراته "سيق المسجونون إلى القلعة، وكنت أتولى في مساء كل يوم كتابة الأوامر القاضية بإعدام اثنى عشر سجينًا كل ليلة، وكانت جثث القتلى توضع في زكائب وتغرق في النيل، واستمر ذلك ليال عديدة، وكان كثير من النساء ممن نُفِّذ فيهم حكم الإعدام ليلا"[1].

وبديهي أنه طالما كان من المحكوم عليهم بالإعدام عدد من النساء فإن هذا يعني أن النساء كن ضمن قيادات الثورة أو المشاركين فيها أو المنظمين لها، ويؤكد الرافعي على ذلك بقوله "وقد أسرف الفرنسيون في القتل بعد الثورة ولم تأخذهم رحمة بالنساء فقتلوا كثيرًا منهن"[2].

وفي قريتي غمرين وتتا وهي بلدتان متجاورتان شمال منوف يقول الكابتن فيروس في رسالته إلى الجنرال كافاريللي في ١٣ أغسطس سنة ١٧٩٨ " تعاونت الكتيبتان الفرنسيتان على مهاجمة قرية غمرين فأخذناها عنوة بعد قتال ساعتين وقتلنا من الأهالي من أربعمائة إلى خمسمائة بينهم عدد من النساء كن يهاجمن جنودنا بكل بسالة وإقدام"[3].

---

(١) مذكرات بوربين سكرتير نابليون الخاص - الجزء الأول.

(٢) الرافعي – مرجع سابق ص ٢٨٤ – الجزء الأول.

(٣) وقد ذكر نابليون في رسالته إلى الديركتوار بتاريخ ١٧ أغسطس سنة ١٧٩٨ واقعة غمرين بإيجاز، ونشرت رسالته في مراسلات نابليون الجزء الخامس وثيقة رقم ٢٤٨٨.

ويعلق الرافعي على ذلك قائلاً: "فانظر إلى هذا الوصف، وتأمل كيف كان النساء يشاركن الرجال في مقاتلة الفرنسيين، وهذا لعمري من أبلغ ما يذكر عن استبسال شعب في الدفاع عن كيانه، وأبلغ منه أن الشهادة جاءت به من عدو، وسنرى في خلال الوقائع التي تأتي عليها الفصول التالية أن النساء كن في بعض البلاد يشاركن الرجال في مقاومة الفرنسيين"(١).

ويقول ريبوا عن المقاومة في المنصورة "نادت المدينة كلها بالثورة رجالاً ونساء، وكان النساء يحرضن أزواجهن على أن يثوروا بالفرنسيين"(٢).

وعن المقاومة في جزيرة فيلة فيقول الجنرال بليار في يومياته "حمل الأهالي أسلحتهم وصاحوا صيحات القتال ورأينا النساء ينشدن أناشيد الحرب والهيجاء ويهيلون التراب في وجوهنا"(٣).

وفي ثورة القاهرة الثانية التي كانت من أشد الثورات على الفرنسيين والتي اشترك فيها أهل القاهرة جميعًا رجالاً ونساء وأطفالاً، فإن ذكر اشتراك النساء في الثورة أمر بديهي، وهم يدخلون في عداد الثوار عند حديث المؤرخين عن الناس، أو العامة، أو الجمهور أو الأهالي، وقد جاء ذكرهن مباشرة في أكثر من مرجع نذكر منها المسيو جالان الذي يقول "اندفعت جموع الثائرين تتقدمهم طائفة من المماليك والانكشارية وانضم إليهم النساء

---

(١) الرافعي – مرجع سابق – ص ٣٠٢ – الجز الأول.

(٢) الجنرال ريبو – التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية – الجزء الثالث.

(٣) نقلاً عن الرافعي – مرجع سابق ص ٣٦٧

والأطفال، فكان لهم نداءات تصم الأذان وهبت عاصفة الثورة علـــى أحيـــاء العاصمة كلها"[1].

ويقول الرافعي "اتسع نطاق الثورة وغـــامرت فيهـــا طبقـــات الشـــعب كافة"[2].

ويقول الرافعي أيضًا: "تطوع الأهالي لإمداد الثـــوار بـــالزاد وتوزيـــع الإمدادات وكذلك جميع أهل مصر كل إنسان سمح بنفسه وجميع ما يملكه"[3].

وهكذا فإن المرأة المسلمة استمرت تقاتل إلى جانب الرجل حتى نجـــح الشعب المصري رجالاً ونساءً في إجلاء الفرنسيين سنة ١٨٠١، وبديهي هنا أن نقول إن الثورة التي شملت كل شبر في مصر مـــن القـــاهرة والأقـــاليم، والقرى والمدن، الوجه البحري والقبلي، كانت ثورة شعبية شاملة، وبالتـــالي شاركت فيها المرأة في كل مكان ولكننا اكتفينا بتسجيل أقوال المؤرخين التـــي جاء فيها ذكر النساء مباشرة وذكر مشاركتهن في المقاومة.

وعندما جاءت الحملة الإنجليزية بقيادة فريزر سنة ١٨٠٧ تكرر نفـــس الشيء، وقاومت رشيد من خلال أهلها رجالاً ونساءً فهزموا الجيش الإنجليزي وكذلك تطوع الأهلي رجالاً ونساءً من القاهرة والأقاليم وتجمعوا في معركـــة في معركة كبيرة ضد الإنجليز وانتصروا عليهم في موقعة الحمـــاد وانتهـــى الموقف بجلاء الإنجليز عن مصر وفشل حملتهم عليها سنة ١٨٠٧.

---

(١) المسيو جالان – صورة مصر أثناء إقامة الجيش الفرنسي.

(٢) الرافعي – مصدر سابق ص ١٥٢ الجزء الثاني.

(٣)الرافعي – مصدر سابق ص ١٥٤ الجزء الثاني.

* دور المرأة المسلمة في أحداث ثورة عرابي:

وفي أحداث الثورة العرابية، وعندما جاء الإنجليز إلى الإسكندرية تطوع الأهالي من رجال ونساء للدفاع عن المدينة، وفي هذا الصدد يقول محمد عبده "كان الرجال والنساء تحت مطر الكلل ونيران المدافع ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بعض بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها، وكانوا يغنون بلعن الأميرال سيمور ومن أرسله"[١].

ويقول عرابي في ذلك "وفي أثناء القتال تطوع الكثير من الرجال والنساء في خدمة المجاهدين ومساعدتهم في تقديم الذخائر الحربية وإعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات"[٢].

ويقول محمود باشا فهمي في كتاب البحر الزاخر "ورأيت في ذلك الوقت بعيني ما حصل من غيرة الأهالي بجهة رأس التين وأم كبيبة وطوابي باب العرب وهمتهم في مساعدة عسكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات هم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم والبعض من الأهالي صر يعمر المدافع ويضربها على الأسطول"[٣].

وقال عرابي في مذكراته "أنه استشهد من رجال الطوابي وحدهم مائة رجل وامرأتان من المتطوعات اللواتي كن يضمدن الجرحى وهذا طبعًا عدا خسائر الأهلية في المدينة"[٤].

---

(١) محمد عبده – مذكرات ص ٢٥٠ تاريخ الأستاذ الإمام للسيد محمد رشيد رضا.

(٢) مذكرات عرابي.

(٣) محمود باشا فهمي – البحر الزاخر ج ١ ص ٢٢٠.

(٤) مذكرات عرابي.

وفي إطار التبرع للمجهود الحربي للجيش المصري ضد الإنجليز عام ١٨٨٢ نجد أن الرجال والنساء على حد سواء قد تطوعوا أو تبرعوا، وقد جاء ذكر بعض السيدات اللاتي تبرعن للمجهود الحربي المصري ومنهن والدة الخديوي إسماعيل وحرم خيري باشا رئيس ديوان الخديوي وحرم رياض باشا وكثير من الذوات والسيدات [١] ونلاحظ هنا أن سيدات العائلة الخديوية أو زوجات كبار الموظفين قد تبرعن برغم أنف الخديوي وكبار موظفيه وكان الخديوي منحازًا إلى المعسكر المعادي للثورة العرابية ومؤيدًا للإنجليز، وهذا يدل على مدى شجاعة هؤلاء النسوة في أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر، وكان من الشهداء الكثيرات من النساء ففي حادثة دنشواي سنة ١٩٠٦ كانت الشهيدة أم محمد زوجة محمد عبد النبي هي أول من سقط برصاص الإنجليز، وكان استشهادها سببًا في هياج الأهالي ويقول الرافعي "وأقبل الرجال والنساء والأطفال هائجين الخواجة قتل المرأة وحرق الجرن، الخواجة قتل المرأة وحرق الجرن، وأحاطوا بالضابط وجاء بقية الضباط الإنجليز لإنقاذ زميلهم فتكاثرت جموع الأهالي.. وحملوا على الضبط بالطوب والعصى الغليظة وأثخنوا من لحقوا بهم ضربًا فأصيب الماجور بين كوفين كومندان الكتيبة بكسر في ذراعه وجرح الملازمان سميث ويك وبرثر، وأحاط بهم الأهالي فأخذوا منهم أسلحتهم وحجزوهم"[٢].

وقد لعبت المرأة المصرية دورًا بارزًا في جهاد الحزب الوطني ووجدنا النساء تشكل اللجان لتأبين مصطفى كامل أو محمد فريد أو التضامن مع

---

(١) مذكرات عرابي.

(٢) الرافعي – مصطفى كامل – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٩٨٤ ص ٢٠٦.

انتفاضات طلبة المدارس فيقول الرافعي " ... فسارت المشيعات من الفضليات والسيدات والآنسات تسير مثنى مثنى وفي أولاها أسرة الفقيد وفي الثانية لجنة تأبين من السيدات ..."[١].

وكان الحزب الوطني يهتم بنشر التعليم بين الأولاد والبنات علـــى حــد سواء يقول الرافعي "كان محمد فريد دائمًا يدعو إلى تعمـــيم التعلـــيم وجعلـــه إلزاميًا ومجانيًا لكل مصري ومصرية"[٢].

* ثورة المرأة المسلمة في ثورة ١٩١٩:

وعندما اندلعت ثورة ١٩١٩ وهي ثورة فجرها الحزب الـــوطني مـــن خلال نضاله الطويل منذ أوائل القرن وحتى اندلاع الثورة، وكذا قيامه بتشكيل خلايا سرية مسلحة كان لها الفضل الأول في تفجيـــر الثـــورة واســـتمرارها وصمودها، إلا أن تلك الثورة قد سرقها المتغربون فيما بعد [٣]عندما انـــدلعت تلك الثورة كانت المرأة المسلمة في مصر في القلب منها وقد سجلت أحـــداث ثورة ١٩١٩ العديد من مظاهرات السيدات واستشهاد عدد كبير منهن ففي يوم ١٦ مارس ١٩١٩ نظمت السيدات المصريات مظاهرة احتجاج على الاحتلال يقول الرافعي "شاركت المرأة المصرية الرجال في الثـــورة وأعلنـــت عـــن مساهمتها فيها بمختلف الوسائل، وكان أول مظهر رائع لهذه المساهمة تلـــك المظاهرة الكبرى التي قامت بها السيدات والآنسات يوم الأحد ١٦ مارس سنة

---

(١) الرافعي – محمد فريد – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة ١٩٨٤ – ٤٢٨.

(٢) الرافعي – مرجع سابق ص ١٤٠.

(٣) د. عصام ضياء الدين – الحزب الوطني والنضال السري – الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٩١٩ وكان الغرض منها الإعراب عن شعورهن والاحتجاج على ما أصاب الشعب من القتل والتنكيل في المظاهرات السابقة، خرجت المتظاهرات في حشمة ووقار وعددهن يربو على الثلاثمائة من كرام العائلات وأعددن احتجاجًا مكتوبًا ليقدمنه إلى معتمدي الدولة" وقد تضامن معهن أكثر أهل القاهرة رجالاً ونساءً وأخذوا يرددون هتافاتهن(١).

وقد أحدثت تلك المظاهرة دويًا هائلاً لدرجة أن حافظ إبراهيم قد سجلها في شعره بقصيدة منها:

فليهنأ الجيش الفخور ... بنصرهنه وبكسرهنه

فكأنما الألمان قد ... لبسوا البراقع بينهن

وأتوا بهندنبرج ... مختفيًا بمصر يقودهنه

فلذاك خافوا إبائهن ... وأشفقوا من كيدهنه

وفي عشرين مارس نظمت السيدات مظاهرة أخرى يقول الرافعي "وعقد النساء عزمهن على إقامة مظاهرة أخرى فاجتمعن يوم الخميس ٢٠ مارس صباحًا بالحديقة القريبة من النيل بجاردن سيتي ومن هناك سرن ماشيات وفي مقدمتهن ستة أعلام كتب على إحداها باللغة العربية "إننا نحتج على سفك دماء الأبرياء والعزل من السلاح" وكتب على الثاني "نحتج على قتل الأبرياء" وعلى الثالث "نطلب الاستقلال التام" وعلى الأعلام الثلاثة الأخرى هذه العبارات مترجمة إلى الفرنسية، وسارت المتظاهرات حتى وصلن إلى شارع قصر العيني حتى وصلن إلى شارع سعد زغلول وأخذن يهتفن ثم أقبلت قوة

(١) الرافعي – ثورة ١٩١٩ – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الخامسة ص ٢٠٩ – ٢١١.

كبيرة من البوليس ومن الجنود الإنجليز في سيارات مسلحة فضربوا نطاقًا حولهن وظل الحصار نحو ساعتين وهن واقفات في الشمس من منتصف الساعة الحادية عشر صباحًا حتى الساعة الواحدة بعد الظهر وأرسلن باحتجاجاتهن إلى سفراء الدول"[١].

وفي يوم الجمعة ١٢ ديسمبر اجتمع عدد عظيم من السيدات المصريات من مسلمات وقبطيات بالكنيسة المرقصية للاحتجاج على قيام وزارة يوسف وهبة باشا، وقدوم لجنة ملنر وأصدرن بيانًا ضمنه رأيهن في الموقف السياسي وإخلاف الإنجليز وعودهم في المسألة المصرية وضمنه بتأييد مقاطعة لجنة ملنر والاحتجاج على قدومها والإصرار على التمسك بالاستقلال التام، وقامت السيدات يوم ١٦ يناير ١٩٢٠ بمظاهرة سارت من محطة مصر إلى شارع كامل "الجمهورية الآن" فميدان الأوبرا فميدان عابدين وتعرض لهن الجنود البريطانيون وطلبوا منهن التفرق فأبين واستمررن في المظاهرة[٢].

ولعل هذه الأحداث تثبت أن المرأة المسلمة المنحازة إلى الإسلام كدين وكثقافة وكحضارة وكوطن هي التي كانت تقاوم الإنجليز ومن قبلهم الفرنسيين في حين أن أمثال قاسم أمين، كانوا منحازين للإنجليز جملة وتفصيلاً، أكثر من هذا أن النساء القبطيات وهن جزء من الانتماء الحضاري للإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن انضممن إلى أخواتهن المسلمات، بل وقامت هؤلاء وهؤلاء بالاجتماع في الكاتدرائية المرقصية لتأكيد وحدة هذا الشعب مسلمين وأقباط في رفض الاستعمار وتأكيد الانتماء إلى الحضارة الإسلامية كثقافة

---

(١) الرافعي – مرجع سابق ص ٢٣٥.

(٢) الرافعي – مرجع سابق ص ٤٢٧.

وكحضارة وكوطن، في حين أن قاسم أمين الذي كان ينتمي إلى حزب الأمـة وكان من كتاب صحيفة "الجريدة الناطقة" بلسان الحزب ذلك الحزب الذي يثير الفتنة الطائفية وينحاز إلى الإنجليز ويعلن عدم إيمانه بالحركة الوطنية وثقتـه بالإنجليز وتقديره لما قدموه إلى مصر من خدمات!

ويلخص الرافعي دور المرأة في ثورة ١٩١٩م قائلاً "اعتادت السـيدات تأليف المظاهرات وإلقاء الخطب في المجتمعات وتأليفهن الجمعيـات ونشـر آرائهن وأبحاثهن في الصحف والمجلات ومساهمتهن في تطـور الحـوادث عامة واضطلاعهن بأعمال البر والإحسان وبخاصة التي يقصد منها النهوض بالطبقات الشعبية"[١].

وهذا لعمري – هو التحرر الحقيقي للمرأة وليس ذلك التحرر الذي يدعو إليه قاسم أمين ونوال السعداوي وأمثالهما من التهتك والخلاعة والاندماج في ثقافة المستعمر والترحيب بالاحتلال!

وبالطبع لم يكن دور المرأة قاصرًا على تنظيم المظاهرات والاجتماعات النسائية بل قامت المرأة بالمشاركة في كل أحوال الثورة، ولعل مراجعة قوائم الشهداء في تلك الثورة كما جاءت في كتاب الرافعي يعطينا الدلالة القاطعـة على ذلك، فقد تضمنت قوائم الشهداء عددًا كبيرًا من النساء.

ففي أسماء شهداء يوم ١٤ مارس ١٩١٩ جاء اسم السيدة حميدة خليـل من الجمالية بالقاهرة (الرافعي ص ٢٠٢).

---

(١) الرافعي – مرجع سابق ص ٥٨٤.

وفي المظاهرات التي اندلعت في القاهرة في أوائل شهر أبريـــل سجل الرافعي ضمن أسماء الشهداء السيدة شفيقة محمد من سكان قسم الخليفة استشهدت يوم ١٠ إبريل.

وكان من الأمور العادية مشاركة النساء في تشييع جنائز الشهداء يقول الرافعي "وفي ١٢ إبريل احتفل بتشييع جنازة أربعة قتلى آخرين من شهداء المظاهرات في مشهد جليل اشترك فيـــه المشـــيعون مـــن الرجال والنساء " (الرافعي ص ٢٣٨ من كتاب ثورة ١٩١٩).

ومن الجرحى في بلدة ميت القرشي مركز ميت غمـــر الآنســـة صديقة عروس عبد المجيد إبراهيم (الرافعي ص ٢٥١).

واستشهدت السيدة بنت بدران من كفر الوزير مركز ميت غمـــر دقهلية (الرافعي ص ٢٥٢).

وفي دنديط مركز ميت غمر استشهدت السيدة حنيفـــة أم عجـــوة (الرافعي ص ٢٥٣).

وفي تفهنا الأشراف مركز ميت غمر دقهلية استشهد رقية بنـــت أحمد متولي (الرافعي ص ٢٥٢).

وفي الزقازيق استشهدت أم محمد بنت جاد وعين بنـــت صـــبيح (الرافعي ص ٢٥٤).

وفي الفيوم استشهدت نعمات محمد وفاطمة محمود (الرافعي ص ٢٥٥).

وكان من بين شهداء مظاهرات ٩، ١٠، ١١ إبريل في القـــاهرة السيدة عائشة عمر من السروجية الدرب الأحمر، والسيدة شفيقة محمد من الخرطة القديمة بالخليفة، والسيدة فهيمة رياض من الدرب الأحمر (الرافعي ص ٣١٤).

الفصل الرابع

المرأة في الحضارة الغربية

أعطى الإسلام للمرأة كل الحقوق، وحررها كما ينبغـــي أن يكـــون التحرير، لأنه شريعة الله العادل الحكيم، وشهد المجتمع الإســـلامي فـــي عصر النبوة وبعد عصر النبوة وإلى يومنا صورًا شتى مـــن المشـــاركة السياسية والاجتماعية والثقافية للمرأة ولم تنتقص حقـــوق المـــرأة فـــي مجتمعاتنا إلا بعد غياب شريعة الإسلام عن الحكم أو سوء تطبيقها ومـــا أصاب النساء في ذلك من الحيف والظلم أصاب الرجال أيضًا، أي أنـــه كان جزءًا من انحطاط عام.

أما في التصور الإسلامي الصحيح وفي المجتمعات التي تحتكم إلى شريعة الإسلام قلبًا وروحًا فإن المرأة كائن مستقل مكلـــف، لهـــا ذمتهـــا المالية المستقلة ولها الحق في حضور الاجتماعات الدينية والسياسية، بل وتروي الحديث عن الرسول ﷺ ولها الحق في العلم والعمـــل والجهـــاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تحـــاور الرجـــال بمـــا فـــيهم الرسول ﷺ نفسه وتشير عليه، بل وتستدرك على الصحابة فـــي بعـــض الأمور وتخطئهم في قضايا الفقه ويأخذ خليفة المسلمين عمر بن الخطاب برأيها ويعلن خطأه أمام جمع كبير من المسلمين ومن فوق المنبر.

المرأة في الحضارات القديمة والحديثة

أما في الحضارات الأخرى، فإن المــرأة قــديمًا وحــديثًا أي فـــي الحضارات القديمة والحديثة كانت ولا تزال مظلومة مهضومة الحقوق أو سلعة تباع وتشترى أو خاضعة للاستغلال.

ففي المجتمع العربي الجاهلي قبل الإسلام كانت المرأة مظلومة في كثير من حقوقها فليس لها حق الإرث، وليس للطلاق عدد محــدود، ولا لتعدد الزوجات حد معين، ولم يكن لها الحق في اختيار زوجها بل كــان هذا الحق في يد أبيها أو أخيها، بل كان الابن الأكبر للأب الميت له الحق في وراثة زوجات أبيه كبقية أموال أبيه ويمكن لــه أن يتــزوجهن، بــل ووصل الأمر إلى حد قتل البنات المولودات خشية الفقر أو العــار فـــي بعض القبائل العربية(١).

وفي شريعة حورابي كانت المرأة تحسب في عداد الماشية المملوكة حتى أن من قتل بنتًا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتله أو يتملكها، وفي شريعة مانو كانت المرأة قاصرة طيلة حياتها ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها وأن تحــرق معــه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود، والفتاة في الهند كانت تقدم

---

(١) د. عبد الودود شلبي – في محكمة التاريخ – دار الشروق القاهرة– ١٩٩١.

قربانًا للآلهة لترضي، وجاء في شريعة الهندوس "لـيس الصـبر المـر والريح والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار أسوأ من المرأة" (١).

وكان الكاهن عند الأشوربين والبابلبيين يجمع العذارى مرة كل عام ويبيعهن في المزاد العام، وبعد الشراء إذا لم تعجب الفتاة الشاري فمـن حقه أن يردها ويسترد ثمنها (٢).

وفي اليهودية المحرفة طبعًا، كانت بعض طوائف اليهـود تعتبـر البنت في مقام الخادمة، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصـرة، ومـا كانت لترث إلا إذا لم يكن لأبيه ذرية من البنين وإلا ما كان يتبرع به لها أن تنقل ميراثها إلى سبط آخر، واليهودية المحرفة تعتبر المرأة لعنة لأنها أغوت آدم(٣).

وفي المسيحية المحرفة فإن الزواج يجب الابتعاد عنه وأن الأعزب عند الله أكرم من المتزوج، وأن المرأة باب الشيطان، وأن جمالها سلاح إبليس للفتنة والإغراء، وفي القرن الخامس اجتمع مجمع "ماكون" للبحث في مسألة "هل المرأة لحم وجسم لا روح فيه؟ أم أن لها روحًا؟" وأخيـرًا قرروا أنها تخلو من الروح الناجية من عذاب جهنم ماعدا أم المسيح!

---

(١) د. عبد الودود شلبي – في محكمة التاريخ – دار الشروق القاهرة– ١٩٩١.

(٢) الغزالي حرب – استقلال المرأة في الإسلام – دار المستقبل العربي القاهرة – بدون تاريخ.

(٣) د. عبد الودود شلبي – مرجع سابق.

وفي عام ٥٨٦ للميلاد عقد الفرنسيون مؤتمرًا للبحث: هل تعتبر المرأة إنسانًا أم غير إنسان؟ وأخيرًا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب.

ومن أقوال القديسين المسيحيين فيها – طبعًا المسيحية المحرفة – يقول القديس سوستام: إن المرأة شر لا بد منه، وأنه مرغوب فيها وخطر على الأسرة والبيت، وأنها فتاكة ومصيبة مموهة.

ويقول القديس ترتوليان أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ناقضة لنواميس الله، مشوهة لصورة الله أي الرجل[١].

أما في الحضارة اليونانية والإغريقية والرومانية، وهي التراث الحضاري الذي اعتمدت عليه أوروبا في نهضتها الحديثة وخاصة بعد بعث ذلك التراث فيما يسمى بعصر النهضة في أوروبا والذي تعتبر الحضارة الأوروبية حاليًا آخر تطوراته، فإن المرأة عند اليونان رجس من عمل الشيطان، وكانت محتقرة، ومن الناحية القانونية كانت المرأة عندهم تباع وتشترى في الأسواق وهي مسلوبة الحرية والكرامة، وليس لها الحق في الإرث، وليس لها ذمة مالية مستقلة.

وفي آخر عهد الحضارة اليونانية أباحوا الجنس الحرام والشذوذ وغيره مما أثر على المرأة كثيرًا، كما هو حادث الآن في أوروبا [١].

---

(١) د. عبد الودود شلبي – مرجع سابق.

أما عند الرومان فلم يكن للمرأة الحق في اختيار زوجها، ولم يكن لها ذمة مالية مستقلة.

وفي أوروبا الحديثة بيعت المرأة سنة ١٧٩٠ في أسواق إنجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التي كانت تؤويها، وبقيت المرأة إلى سنة ١٨٨٢ محرومة من حقها الكامل في ملك العقار وحرية المقاضاة، وكان تعليم المرأة سمة تشمئز منها النساء والرجال، ففي سويسرا عندما دخلت امرأة جامعة جنيف عام ١٨٤٩ لتتعلم الطب وهي اليصابات بلا كويل قاطعتها النساء واحتقرنها وكذلك الرجال، وفي أمريكا عندما أقيم معهد لتعليم النساء الطب في مدينة فيلادلفيا سنة ١٨٧١ أعلنت نقابة الأطباء في المدينة براءتها من كل طبيب يقبل التعليم في ذلك المعهد النجس، بينما الأمر في الإسلام مختلف فمثلاً وقبل أربعة عشر قرنًا كان هناك طبيبات مثل رفيدة يصنعن خيمة يداوين فيها الجرحى والمرضى.

والقانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥ كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته وقد حدد ثمن الزوجة بسبعة بنسات، وقد حدث أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط، فلما امتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة قتله الزوج البائع، ولما كانت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وأعلنت تحرير

---

(١) من بحث مقدم للمؤتمر المشبوه للمرأة والذي عقد تحت رعاية نوال السعداوي سنة ١٩٨٦ ومولته الدوائر الغربية المشبوهة، ورغم ذلك وجدنا من بين الباحثات اللاتي تقدمن بأبحاثهن في المؤتمر من يعترف بأن المرأة في أمريكا غير متحررة وليست أكثر من سلعة.

الإنسان من العبودية والمهانة لم تشمل بنودها على المرأة، فنص القانون المدني الفرنسي على أنها ليست أهلاً للتعاقد دون رضا وليها، وقد حـــدد النص القانوني في فرنسا القصر على أنهم الصبي والمجنـــون والمـــرأة، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨ حيث تم تعديل بعض نصوص القانون، إلا أنها مازالت تحمل بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة.

وحتى عندما أعلنت أوروبا التحرر الكامل للمرأة، فإنها في الحقيقة فعلت ذلك لتحويل المرأة إلى سلعة تدخل في ســـوق الرأســـمالية البشـــع وفتحت الباب واسعًا أمام الإيدز والمخدرات والانتحـــار والجنـــون، لأن المرأة في حقيقة الأمر لم تتحرر ولكنها استعبدت لآلة السوق القاسية ليس أكثر.

وإذا كانت أمريكا هي كعبة العلمانيين فـــانظر مـــثلاً إلـــى آخـــر الإحصائيات بشأن عمل المرأة ومشاركتها فـــي السياســـة، تقـــول تلـــك الإحصائيات أن نسبة العاملات في الولايات المتحدة الأمريكية بلغت ٢% من عدد القادرات على العمل، كما أن نسبة النساء في المجلس التشريعي "الكونجرس" بلغت ٤%، وهذا يثبت أن حق المرأة في العمل في أمريكـــا ليس إلا مجرد وسيلة لإشباع حاجات السوق، فإذا كانت هذه السوق غير محتاجة إلى ذلك تدنت مستويات عمل المرأة لتصل على ٢% مثلاً، ويتم الاستغناء عن النساء العاملات بصرف النظر عن حاجاتهن، وعلى كـــل حال فالمرأة والرجل ضحايا لقوانين السوق في الغرب.

ويمكن أن تقارن هذا مثلاً بعدد العاملات في بلد مثل مصر بأنه يراعي الإسلام الرجعي الذي يحرم المرأة من حقوقها كما قالت نوال السعداوي مثلاً في مؤتمر المرأة المشبوه الذي عقد سنة ١٩٨٦، ويمكن أيضًا مقارنة نسبة المشاركة السياسية في إيران الإسلامية مثلاً حيث وصل عدد النائبات في البرلمان الأخير تسع سيدات [١].

والمجتمعات الغربية التي تمنع قانون تعدد الزوجات، والتي يريدنا البعض أن نقلدها، وهي نفسها تدفع ثمن هذا المنع، لأن تعدد الزوجات شرع رحمة بالمرأة أساسًا. فمن البديهي أن عدد النساء في العالم أكثر من عدد الرجال، ويعني منع التعدد أن نفتح باب العنوسة لكثيرات من النساء، ونفتح الباب أيضًا للعلاقات المحرمة التي ستكون على حساب المرأة الثانية أو الثالثة التي بدلاً من أن تكون زوجة لها حقوق الزوجة شرعًا وقانونًا ستكون مجرد عشيقة يلقيها الرجل في الطريق في أي وقت يشاء حقوق، ولا كرامة، ولأن تعدد الزوجات حاجة بديهية وضرورة أيضًا في فإن أهالي بون مثلاً تقدموا بطلب إلى السلطات سنة ١٩٤٩ يطلبون فيه أن يُنص في الدستور الألماني على تعدد الزوجات، بل إن المؤتمر الذي عقد في ميونخ سنة ١٩٤٨ والذي بحثت إحدى لجانه مشكلة زيادة عدد النساء في ألمانيا أضعافًا مضاعفة بعد الحرب العالمية

---

(١) نقلاً عن محمد عبد القدوس – جريدة الشعب – مايو ١٩٩٢.

الثانية أوصى بالمطالبة بإباحة تعدد الزوجات كحل لمشكلة زيــادة عــدد النساء على الرجال في ألمانيا [1].

وقد أعترف الكثيرون من المفكرين الغربيين بصواب فكــرة تعــدد الزوجات مثل جرونيوس العالم القانوني المشهور[2].

أما شوبنهور الفيلسوف الألماني المعروف فيصف أحوال النساء في ظل غياب تعدد الزوجات قائلاً "ولا تعدم المرأة في الأمم التي تجيز تعدد الزوجات زوجًا يتكفل بشئونها، والمتزوجات عندنا نفر قليل وغيرهن لا يحصين عددًا تراهن بغير كفيل بين: بكر من الطبقات العليا قد شــاخت وهي هائمة متحسرة، ومخلوقات ضعيفة من الطبقات الســفلى يتجشــمن الصعاب ويتحملن شاق الأعمال وربما ابتذلن فيعشن تعيسات متلبســات بالعار والخزي، ففي مدينة لندن وحدها ثمانون ألفًا من البنات العموميات سفك دماء شرفهن على مذابح الزواج، ضحية الاقتصار علــى زوجــة واحدة" [3].

ومنع تعدد الزوجات كما قلنا يأتي على حساب المرأة مــن حيــث ازدياد أعداد العانسات، ويأتي أيضًا على حسابها من حيث العلاقات غير الشرعية التي تجمع بين الرجل والمرأة فتحمل المرأة فتتحمل ابنها غيــر الشرعي أو تلجأ إلى الإجهاض، ولقــد بلغــت وفيــات النســاء بســبب

(١) محمد يوسف موسى – في الأحكام الشخصية.

(٢) العقاد – حقائق الإسلام وأباطيل خصومه.

(٣) هذا على زمن شوبنهور فما بالك اليوم!

الإجهاض ١٠% من جملة الوفيات بين الأمهات [١]، هذا طبعًا فضلاً عن مشاكل اللقطاء وانتشار الأمراض السرية.

أما هؤلاء الذين يدعون إلى منع الطلاق، فترى أمرهم عجبًا، فهم يريدون تقليد الحضارة الغربية في كل شيء، ويتناسون أن تلك الحضارة نفسها قد اضطرت تحت ضغط الواقع وفي كل بلادها بما فيها إيطاليا بلد البابا إلى إباحة الطلاق، لأنه ضرورة إنسانية واجتماعية، وما دام الطلاق قد فرض نفسه على كل البلاد الأوروبية فمن العجب إذا أن يطالب به هؤلاء الذين تمولهم أمريكا والغرب، على أن هذا المطلب في حد ذاته يكشف عن حقيقة هامة وهي أن القصة كلها مفتعلة للهجوم على شرائع الإسلام لا أكثر ولا أقل، فهؤلاء لا يعنيهم تحرر المرأة في الشر ولا في الغرب، والموضوع ليس إلا قفازًا للهجوم على الإسلام خدمة لأهداف الدوائر الغربية المشبوهة.

---

(١) وفقًا لتقارير منظمة الصحة العالمية.

الفصل الخامس

التحرر الحقيقي والتحرر المزيف

دعــوات مشبوهة ورمــوز مشبوهة

فرق كبير بين التحرر الحقيقي للمرأة والتحرر المزيف لها، التحرر الحقيقي للمرأة العربية والمسلمة هو تسليحها بالوعي بحقوقها الضــخمة في الإسلام ودفعها لممارسة دورها الطبيعي الذي فرضه عليها الإســلام أو أتاحه لها، أما التحرر المزيف فهذا الذي يدعوها إلى الانســلاخ عــن دينها وثقافتها والاندماج في ثقافة الغرب.

التحرر الحقيقي للمرأة ورموزه:

والتحرر الحقيقي للمرأة هو جهادها وقتلها في سبيل الله دفاعًا عــن دينها ووطنها ونضالها السياسي ضد الاستبداد وتحملها مسئوليات الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو طلب العلم وتحريضها أبناءها وزوجها وإخوتها على حمل أمانة الجهاد والتحــدي الحضــاري ومشاركتهم في ذلك، أما التحرر المزيف فهــو دعوتهــا إلــى مهادنــة الاستعمار أو القبول به وبتقاليده وقيمه وأفكاره وسلوكه.

والتحرر الحقيقي هو تمسك المرأة بهويتها الإسلامية فكرًا وســلوكًا وتمسكها بهدى الإسلام الأخلاقي، أما التحرر المزيف فهو جريانها وراء أزياء الغرب والإباحية والشذوذ والتحلل الأخلاقي.

وعندما يدعو الإمام الشهيد حسن البنا [1] في "رسالة التعاليم" المرأة المسلمة ألا تأكل ولا تلبس إلا من صنع وطنها، فهذا هو التحرر الحقيقي، لأن هذا نوع من المقاطعة الاقتصادية للاستعمار وقطع خيوط التبعية معه، أما هؤلاء الذين يدعون المرأة إلى الجري وراء الموضة وأحدث الأزياء فهم يدعونها إلى الخضوع الاقتصادي والثقافي للغرب، بل ويروجون لسلع الغرب ويحققون أقصى ما يطمع فيه الغرب وهي التبعية الاقتصادية.

إن المرأة المسلمة حين تلتزم بالزي الإسلامي والآداب الإسلامية في اللبس والزينة فإنها في حقيقة الأمر تطيع الله أولاً ثم هي تحقق استقلالاً اقتصاديًا لبلدها وتقطع خيوط التبعية الاقتصادية للغرب، فليس جديدًا أن نعرف أن بيوت الأزياء ومصانع الغرب تكسب كثيرًا جدًا من ترويج بضاعتها من ملابس وأدوات زينة وغيرها في بلادنا.

التحرر الحقيقي هو الذي مارسته النساء اللاتي قاومن الحملة الفرنسية في مختلف الأماكن وكذا حملة فريزر والحملة الإنجليزية الثانية سنة ١٨٨٢، ثم قتالهن ضد الاستعمار الإنجليزي ثم ضد الاستبداد السياسي، هذا التحرر الحقيقي هو ما عرفته المرأة التي أطلقت النار على نابليون أو شاركت الرجال في قتال الفرنسيين أو التي تبرعت للمجهود

---

(١) الإمام الشهيد حسن البنا – رسالة التعاليم، وقد جاء فيها في هذا الصدد "على المرأة المسلمة أن تخدم الأمة الإسلامية بتشجيع المنتجات الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع في أيد غير إسلامية، فلا تأكل ولا تلبس إلا من صنع وطنها الإسلامي".

الحربي للجيش المصري سنة ١٨٨٢ أو هؤلاء اللاتي سقطن شهداء في الإسكندرية سنة ١٨٨٢ أو في حادثة دنشواي، أو أثناء ثورة ١٩١٩ أو من تصدين للاستبداد الناصري، والتحرر المزيف هن النسوة اللاتي ارتبطن بجنود الاحتلال الفرنسي أو الإنجليزي أو عقدن الصفقات مع مؤسسات المال الأمريكية لتمويل مؤتمراتهن المشبوهة.

رموز التحرر الحقيقي هُنَّ المرأة التي أطلقت النار على نابليون في الإسكندرية سنة ١٧٩٨، أو اللائي قاتلن الفرنسيين في الوجه البحري والقبلي، أو هؤلاء اللائي أعدمن بتهمة الاشتراك في ثورة القاهرة الأولى أو هؤلاء اللاتي شاركن في ثورة القاهرة الثانية، أو هؤلاء اللاتي استشهدن في طوابي الإسكندرية سنة ١٨٨٢ أو داخل المدينة، أو هؤلاء اللاتي استشهدن في طوابي الإسكندرية سنة ١٨٨٢ أو داخل المدينة، أو هؤلاء اللاتي تبرعن بالمال وغيره للمجهود الحربي المصري سنة ١٨٨٢، أو اللاتي نظمن المظاهرات في ثورة ١٩١٩، واللاتي سقطن فيها شهيدات .

أما رموز التحرر المزيف فهن اللاتي دُرْنَ مع جنود الاحتلال الفرنسي ١٧٩٨ – ١٨٠١ مثل هوى وشوق أو اللاتي أخذن التمويل من مؤسسات فورد كونديش وغيرها مثل نوال السعداوي.

دعاة التحرر الحقيقي أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وحسن البنا وعبد الحليم أبو شقة وصافيناز كاظم، ودعاة التحرر المزيف أمثال قاسم أمين ولويس عوض وأمينة السعيد ونوال السعداوي.

فمصطفى كامل حين يتصدى لقاسم أمين ويرد على ما يروجه بشأن الدعوة إلى الانحلال وتقليد سلوك الغرب بالنسبة إلى المرأة، وحين يكشف حقيقة تلك الدعاوى المريبة فإنه هنا كان يدافع عن التحرر الحقيقي للمرأة، لأنه كان يدعوها في الوقت نفسه للنضال ضد الاحتلال، ورفض ثقافة هذا الاحتلال وعدم تقليده في العادات والسلوك بل التمسك بالعادات الإسلامية الوطنية والسلوك الإسلامي الوطني والزي الإسلامي الوطني[1].

ومحمد فريد كان من دعاة التحرر الحقيقي للمرأة حينما بذل جهوده في فتح المدارس والمعاهد للبنيين والبنات على السواء، وعندما دعا لجعل تعليم البنات إلزاميًا في المرحلة الابتدائية وفي نفس الوقت حرص على دعوة المرأة إلى النضال ضد الاحتلال والتمسك بالثقافة الإسلامية الوطنية ورفض الثقافة الاستعمارية[2].

والإمام الشهيد حسن البنا كان من دعاة التحرر الحقيقي للمرأة حين طالبها بطلب العلم والتزود منه، وحين طالبها بأداء دورها في الدعوة إلى

---

(١) الرافعي – مصطفى كامل – دار المعارف.

(٢) الرافعي – محمد فريد – دار المعارف.

الله أو النضال ضد الاستعمار وحين طالبها بالعمل على التمسك بالعادات الإسلامية ونبذ العادات الغربية الاستعمارية، وحين طالبها بمقاطعة منتجات الاحتلال وألا تأكل أو تلبس إلا من صنع يديها، بل قام بعمل خاص بالأخوات المسلمات كانت المرأة المسلمة تمارس من خلاله نشاطها السياسي والاجتماعي والخيري، وقام بإنشاء العديد من المدارس "مدارس أمهات المسلمين" في أكثر من مدينة مصرية، وقد بدأت هذه المدارس بمدرسة أمهات المسلمين بالإسماعيلية، وكان لقسم الأخوات المسلمات دور هام في أثناء عمليات الاعتقال والسجون التي لحقت بالحركة في عهد عبد الناصر حيث قامت الأخوات المسلمات بزيارة أسر المسجونين وتقديم الرعاية لهم، وكذلك إعداد الطعام والملابس للإخوان المسلمين بالسجون(١).

وكان لقسم الأخوات المسلمات دور هام في النضال السياسي ضد الاحتلال الإنجليزي، ففي مجلة الإخوان المسلمين الصادرة في ٥ مارس ١٩٤٦ نشرت المجلة برقية أرسلها قسم الأخوات المسلمات إلى المندوب السامي البريطاني بالقاهرة تحتج فيه الأخوات المسلمات على اعتداء جنود الجيش البريطاني المحتل على المصريين الآمنين(٢).

---

(١) محمود محمد الجوهري – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية- دار الوفاء – ١٩٨٩ – المنصورة.

(٢) نقلاً عن محمود محمد الجوهري – مرجع سابق.

أما الأستاذ عبد الحليم أبو شقة وهو من الإخوان المسلمين، ودخل السجن لفترات طويلة جدًا بسبب الانتماء إلى الإخوان، فقد بذل جهدًا جهدهًا فكريًا ضخمًا لإصدار موسوعة عن تحرير المرأة في عصر الرسالة وأثبت فيه حقوق المرأة من خلال القرآن والسنة، وبذلك يكون من دعاة التحرر الحقيقي للمرأة، بل وقدم برنامجًا هامًا عن المعالم الشرعية لنشاط المرأة السياسي في عصرنا جاء فيه "المرأة المسلمة – مثل الرجل – مدعوة إلى الاهتمام بشئون السياسة في مجتمعها، وكذلك مدعوة للإسهام في حدود ظروفها وقدر طاقتها في إنهاض المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصيحة أي بتدعيم الإيجابيات ومقاومة الانحرافات وهذا نوع من الجهاد المأجور لتحقيق رشد السلطة وعدلها.

●النشاط السياسي يكون فرضًا أحيانًا، وعلى المرأة المسلمة أن تقوم بما يعد من فروض الكفاية على النساء في هذا المجال، ومن هذه الفروض:

(أ) كل عمل يجب أداؤه لتأمين رشد السلطة وعدلها واحتيج منه إلى جهد النساء مع الرجال لكي يتم على الوجه الصحيح، ومثال ذلك مشاركة النساء في انتخاب العناصر الصالحة بالمجالس التشريعية والمحلية والنقابية، وكذلك المشاركة في التصويت على الاستفتاءات التي تعرض على الرأي العام فتعين بذلك على إقرار معروف أو إبطال منكر.

(ب) الانضمام إلى الأحزاب والقوى السياسية المخلصة التي تريد الخير للأمة وتسعى إلى ترشيد السلطة وتعمل على الإصلاح الشامل القائم على مبادئ الإسلام من ناحية، والمستوعب للتجارب البشرية وعلوم العصر من ناحية، وذلك لتدعيم نشاط تلك القوى والأحزاب في مواجهة القوى التي تعادي الإسلام، والأحزاب النفعية الانتهازية التي يدعم نشاطها أعداد كبيرة من الرجال والنساء ويكسبونها السطوة والغلبة.

(ج) نشر الوعي السياسي بين الناس وخاصة في بعض المواسم مثل موسم الانتخابات، وذلك إذا اقتضى الأمر ذهاب القائمات على نشر الوعي إلى البيوت ومخاطبة النساء عن قرب وإجراء حوار معهن.

(د) الإشراف على تنفيذ وتنظيم عملية الانتخاب لتحقيق صدقها ونزاهتها.

- ينبغي أن يكون ضمن أهداف تعليم بنات المسلمين تزويدهن بالمعلومات الأساسية عن أحوال المجتمع السياسية مع تنمية اهتمامهن بشئونه، هذا مع توعيتهن بالدور الواجب عليهن في المجال السياسي، ومن ذلك:

(أ) المشاركة في التعبير عن الرأي في القضايا العامة سواء بالكتابة أو التظاهر أو المشاركة في الأحزاب أو بأية وسيلة وقائية.

(ب) ممارسة واجب النصيحة وحق التأييد والاعتراض.

(ج) تدعيم الحزب أو التيار السياسي الذي تكون مبادئه أقرب لتحقيـق الخير للمجتمع.

(د) اختيار المرشح القادر على حمل أمانة النيابـة عـن الأمـة، أي ممارسة حق انتخاب أصلح المرشحين.

(ه) قبول الترشيح للمجالس النيابية عند القدرة على تمثيل الأمة [١].

- تندب المرأة للبذل من مالها ثم من مال أسرتها بـالمعروف فـي النشاط السياسي الواجب والمندوب، ويندب الرجل لمعاونة زوجتـه فـي شئون البيت إذا غلبها النشاط السياسي المندوب وتجب عليه المعاونة إذا كان نشاطها السياسي واجبًا.
- المجتمع المسلم متضامن في تهيئة الأسباب التي تعين المرأة على الوفاء بمسئولياتها السياسية إزاء مجتمعها بجانب مسئوليتها إزاء أسرتها.
- الحكومة المسلمة مسئولة عن توجيـه المـرأة وتشـجيعها علـى المشاركة في النشاط السياسي.
- أن يكون كل ذلك في إطار آداب المشاركة الإسلامية[٢].

وفي الحقيقة فإن دعوة التحرر الحقيقي للمرأة كان هدفًا ثابتًا لكل المقاومة الإسلامية في مصر وخارجها، فحركة المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي شهدت مشاركة نسائية واسعة بل إن إحدى النساء قادت إحـدى

---

(١) وقد ناقش الأستاذ عبد الحليم أبو شقة الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وكافة مصادر التشريع المعتمدة وخلص إلى حق المرأة في الانتخاب وحقها في الترشيح.

(٢) وكل شيء وليس مشاركة المرأة فقط - ينبغي أن يكون في إطار الآداب الإسلامية العامة.

الثورات المسلحة في بداية الاحتلال وهي لا لا فاطمة[1]، وسجلت أحداث ثورة الجزائر، والشهيدة أم محمد وفضيلة سعدان وغيرهن[2].

وفي إطار نضال الجبهة الإسلامية للإنقاذ ضد الفساد والتغريب والاستبداد كانت المرأة الجزائرية تقوم بالمظاهرات والإضرابات وتشارك في الانتخابات لدعم الجبهة الإسلامية للإنقاذ[3].

ويرى الدكتور عباس مدني زعيم الجبهة الإسلامية للإنقاذ أن المرأة الجزائرية شريك في النهضة الإسلامية، وأن المرأة الجزائرية تتمتع بثقافة ممتازة وستشارك في العمل السياسي الإسلامي بكل فاعلية، وستناضل المرأة المسلمة معنا سافرة أو متحجبة، صغيرة أو كبيرة[4].

ويقول الأستاذ محفوظ نحناح رئيس حركة حماس الإسلامية في الجزائر "أن المرأة عنصر كالرجل تمامًا سواء فهي شريكته من حيث الخلقة وشريكته من حيث التكليف، وشريكته من حيث وحدة المصير، ونظرتنا إلى المرأة هي كما أمر الله المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".

---

(١) بسام العسيلي – المجاهدة الجزائرية – دار النفائس بيروت – ١٩٨٤.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) د. محمد مورو – الجزائر تعود إلى محمد – المختار الإسلامي – ١٩٩٢ – القاهرة.

(٤) من المؤتمر الصحفي الذي عقده الدكتور عباس مدني في قاعة إفريقيا بالجزائر العاصمة بتاريخ ١٢ يونيو ١٩٩٠.

ولا يمكن أن يأمر الرجل بالمعروف وينهي عن المنكر في غياب المرأة فلا بد أن يكونا مشتركين معًا في القضاء على المنكر، وعندي أن أعظم المنكر هو الاستبداد السياسي، ومن هنا فإن المفهوم الذي يريد أن يحجر على المرأة ينتفي انتفاء كاملاً مع النص الشرعي ومقاصده، فنحن نقول إن المرأة مكرمة كالرجل، وأن للمرأة دورًا لا يقل أهمية عن دور الرجل في أعظم مسألة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا بد أن يكون هناك اشتراك.

هذا الاشتراك قد يكون في حزب أو جمعية أو برلمان أو مظاهرة أو أحزاب أو إنتاج أو استهلاك أو تربية أو اتخاذ موقف حازم، والرسول ﷺ كان يساعد أهله، كان يكنس بيته ويخصف نعله ويطهو مع زوجته ويداعب نساءه فلماذا لا يكون الرجل على هذا المستوى من التأسي للرسول ﷺ، ولكن نحن تأثرنا في نظرتنا إلى المرأة بنظرة عصر الانحطاط في الأمة الإسلامية، ولكن الإسلام جاء ليرفع شأن المرأة إلى أعلى مكانة فقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [١].

عشر صفات وصف الله بها الذكر والأنثى يجعلها في قمة الولاء لله تعالى والعمل من أجل التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الأمة، من خلال المنطلقات القرآنية ومن خلال المواقف التي اتخذتها المرأة في العصور الإسلامية الزاهرة وأيام الجهاد، إن المرأة والرجل على قدم المساواة جهادًا وعملاً وتربية وتوجيهًا وصياغة حضارية وتشكيل عقلية تتسم بالشمول والتكامل والاعتدال والاتزان"[٢].

وجاء في برنامج الجبهة الإسلامية للإنقاذ "نظرًا للسمعة التي اكتسبتها المرأة في عهد الرسول ﷺ وبما توصلت إليه في نماذج أمهات المؤمنين ومنها عائشة رضي الله عنها بعلمها حتى كانت راوية لأكثر من ألفي حديث – ومشاركتهن مع الرسول ﷺ في غزواته وموقف أم سلمة بالحديبية – مما يدل على وعيها السياسي وفي عصور النهضة العلمية والفكرية ومشاركتها بعبقرية النابغات في الفكر والأدب والفقه والسياسة والطب، وفي عهود كثيرة كانت استماتتهن في المواقف في المغرب والأندلس وفي عهد احتلال الجزائر وثورة نوفمبر التي برزت فيها مجاهدات مؤمنات أحيت أمجاد المرأة المسلمة، فإن مهمتها في هذه

---

(١) الأحزاب آية (٣٥).

(٢) عبد الله رزاقي – الأحزاب السياسية في الجزائر خلفيات وحقائق – الجزء الأول.

المرحلة، وقد أصبحت تمثل أكثر من ثلثي الطلبة الجامعيين وتلامذة الثانوي، فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تعتبر هذه الطاقة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية الجديرة بالاهتمام قصدت توجيهها بحكمة وتوظيفها برشد في الخطة الإنمائية الحضارية الشاملة، وذلك بتخصيص المرأة بالعناية ورفع مستواها العقائدي وجودة تكوينها المسلكي، رفع مستوى وعيها السياسي والتربوي والحضاري، إعادة الاعتبار إلى مكانتها الإسلامية بحفظها من التعسف والانحلال وآفة التقليد الأعمى، توعية المجتمع كي يدرك أهمية طاقتها وعظيم رسالتها، من أجل ذلك كان الإسلام وما يزال الدين الذي لم يميز المرأة عن أخيها الرجل بكل ما كرم به الإنسان وشرفه لقوله عليه الصلاة والسلام "النساء شقائق الرجال" وقوله "استوصوا بالنساء خيرًا"[1].

ومن دعاة التحرر الحقيقي للمرأة الحركة الإسلامية في السودان، تلك الحركة التي استطاعت أن تقدم النموذج والقدوة في مشاركة المرأة السياسية والاجتماعية في نضال الجبهة القومية الإسلامية في السودان واضطلاعها بدور هام في العمل النقابي والسياسي والحزبي عمومًا، وقد نشأت الجبهة الإسلامية النسوية سنة ١٩٦ ثم ما لبثت أن تقدمت المرأة بكثافة في كافة أنشطة الجبهة الإسلامية والمجتمع السوداني.

---

(١) من برنامج الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

يقول الدكتور حسن الترابي "أصبح خطاب الحركة الإسلامية تبشيريًا تحريريًا في مغزاه، ودعا هذا الخطاب وأدى إلى تحرير النساء من أسر العرف التقليدي الظالم، وأن يستعين بقوة التدين لتعزيز تحرير المرأة، ومن وراء التحرير جاء خطاب الحركة ليلهم المرأة روحًا رسالية في الحياة، بأن تجد المرأة مغزى لحياتها ودورًا يرضي ذاتها ويشفي تطلعاتها من حيث هي إنسان لا يكتمل وجوده إلا باحتمال أمانة وأداء رسالة الوفاء بالواجب بعد استيفاء الحق، وكانت هذه الرسالة أن تجاهد المرأة مع أخيها الرجل لإحياء الدين وتحرير المجتمع وأن تهب نفسها لطلب المثل العليا وابتغاء وجه الله، ولو جمدت الحركة في مرحلة الفقه الاعتذاري – إن الإسلام لم يظلم المرأة – وراحت تدرأ الشبهات التاريخية والفقهية وتتولى الدفاع، لتأخر تحرر المرأة ولو أنها اقتصرت على الفقه الناقد للتقاليد لما بلغت بحركة المرأة الاجتماعية ما بلغت، ولما دخلت النساء في الحركة أفواجًا وانفعلن واشتغلن بقضاياه بأقدار ثورية تاريخية، ولما مرقن من ذل التبعية للرجال ولو في الضلال ولما خلصن من قيود الأعراف ولو كانت منكرة، ولما خلصن من الولاء الطائفي الخرافي ليدخلن في بيعة حركة الإسلام، وقد كان هذا التحول الديني أبلغ آية على أثر الدين في التحرر والنهضة لمقاصد الدنيا والآخر"..

ويختم الدكتور الترابي قوله "فبنعمة الله وهداه رتبت الحركة الإسلامية تأسيسها التنظيمي الأخير على مشاركة الرجال والنساء في الائتمار والشورى والقيادة ثم في الدعوة والمجاهدة" [1].

وفي إيران الإسلامية، كانت الثورة الإسلامية تحريرًا لكل المجتمع وتحريرًا في الوقت نفسه للمرأة الإيرانية، فشاركت المرأة في الجهاد لإسقاط الشاه، وبعد الثورة كانت المرأة الإيرانية في أوج مشاركتها السياسية، فقد كانت الفتيات ضمن هؤلاء الذين اقتحموا السفارة الأمريكية في طهران في أوائل الثورة، وكانت فتاة إيرانية هي الداعية والمنظمة والمشرفة على مؤتمر الأقليات الإسلامية في العالم والمنعقد في طهران ١٩٨٤، وفي البرلمان الإيراني الأخير والذي أجريت انتخاباته في مايو ١٩٩٢ نجحت تسع سيدات في الحصول على عضوية البرلمان.

---

(١) د. حسن الترابي – الحركة الإسلامية في السودان – القارئ العربي للإعلام والنشر – القاهرة – ١٩٩١.

التحـــرر المزيف للمرأة ورموزه

هذا هو التحرر الحقيقي للمرأة المسلمة، أما التحرر المزيف فهــو الذي يدعو إلى الانحلال والتخلي عن ثقافتنا وهويتنا والاندماج في ثقافــة الاستعمار والرضى بوجوده في بلادنا، فها هو لويس عوض مثلاً وهــو المنحاز إلى الاستعمار والثقافة الاســتعمارية، بــل ويعتبــر أن الحملــة الفرنسية على مصر لم تأت من أجل الاحتلال والاستعمار ولكن من أجل تحرير مصر!

بل ويعتبر المتعاونين مع الحملة أي الخونة من أمثال يعقوب وفرط الرمان هم دعاة التحرر الوطني ورموز القومية المصرية! وهــو الــذي يدافع عن وجود الإنجليز في مصر ويعتبر كل من قاوم الاحــتلال مــن أمثال الأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد ما هم إلا مجموعــة من المهرجين أو العملاء أو ضيقي الأفق!، بل ويدعو إلــى نبــذ اللغــة العربية واستخدام العامية وغيرها من الدعوات المشبوهة [1]، هو نفســه الذي يعتبر رموز تحرر المرأة المصرية هي هوى وشوق وغيرهما من اللائي درن مع جنود الاحتلال وأقمنا علاقات جنسية مع الفرنســيين أي أنه يعتبر المومسات والمتعاونات مع جنود الاحتلال بالسلاح وهن اللاتي ذكرناهم في فصل سابق، وخاصة هؤلاء اللاتي أعدمن بسبب اشــتراكهم

---

(١) أحمد محمد شاكر ، أباطيل وأسمار.

في ثورة القاهرة الأولى، وهذه التي أطلقت النار على بونابرت في أول أيام دخوله إلى الإسكندرية في إحدى حواري الإسكندرية[1].

يقول لويس عوض "أما عن ١٨٠٠ فهو عام تحرير المرأة لأن هذا العام شهد بدايات حركة السفور وانطلاق نساء القاهرة لمخالطة الفرنسيين ومحاكاتهم في الزي والسلوك"[2].

وينقل لويس عوض عن الجبرتي في قوله "إن الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن إليهم أفواجًا فرادي وأزواجًا فنططن الحيطان وتسلقن إليهم من الطبقات ودلوهم على مخبأة أسيادهم وخبايا أموالهم ومتاعهم إلى غير ذلك"[3].

وعلى الرغم أن الجبرتي هنا يصف أوضاعًا اجتماعية جزئية صاحبت الاحتلال وترتبت عليه إلا أن لويس عوض يعتبرها ثورة تحرير للمرأة، ويعلق جلال كشك على ذلك قائلاً "ومع أن الجبرتي لم يترك فرصة لسوء الفهم هذا فإن لويس عوض يصر على أنها ظاهرة عامة نابعة عن ثورة تحريرية وليست حالة انهيار تحدث في جميع المجتمعات التي تتعرض للاحتلال والنهب والسلب والتجويع" ويضيف

---

(١) د. محمود مورو – صفحات من كفاح الشعب المسلم في مصر – الزهراء للإعلام العربي – القاهرة – ١٩٩٢.

(٢) لويس عوض – تاريخ الفكر المصري الحديث – الجزء الأول.

(٣) نفس المرجع السابق.

جلال كشك "لويس عوض مؤرخ المدرسة الاستعمارية يجعل انحطاط المرأة إلى حد التكسب بالجنس ثورة نساء وبداية تحرر المرأة" [1].

ولنعرض مزيدًا من وقاحات لويس عوض يقول لويس عوض "وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن كل من خالط الفرنسيين أو حاكاهم أو قبل وجوها من حضارتهم قد فعل ذلك عن فُجْر وافتتان بأسلوب الحكام – وهو ظاهرة اجتماعية وإنسانية – أو عن مصلحة ذاتية أو رغبة في التزلف إلى الحكام، ولا شك أن تحرير المرأة على النحو العملي هذا الذي وصفه الجبرتي كان حركة اجتماعية بالمعنى المألوف وتعبيرًا عن رأي عام وفي شرائح معينة من مختلف مستويات المجتمع المصري بضرورة الانفتاح لهذه الحضارة الحديثة والقيم الاجتماعية الحديثة التي جاء بها الفرنسيون من أوروبا"[2].

وبالطبع فإن الجبرتي لم يقصد هذا الذي استنتجه لويس عوض بل كان يرصد ظاهرة يرفضها هو وكل المؤرخين المحترمين، ولكن لويس عوض يريد أن يجعل من الدعارة مع جنود الاحتلال تحررًا ويريد أن يجعل من ظاهرة جزئية منحطة ومرفوضة ظاهرة اجتماعية تريد الانفتاح على الحضارة الحديثة التي جاء بها الفرنسيون من أوروبا،

---

(١) محمد جلال كشك – ودخلت الخيل الأزهر – دار المعارف.

(٢) لويس عوض – مرجع سابق.

وبالطبع لويس عوض يدعو إلى الأخذ بتلك الحضارة وسلوكها وقيمها بل ويقدم لنا رمزين لتحرر المرأة من أسوأ ما يكون.

أولهما: هي زينب البكرية، **وثانيهما هي:** هوى.

فأما زينب البكرية التي يقدمها لنا لويس عوض على أنهـــا رائـــدة التحرر فهي بنت الشيخ البكري وهو أحد الخونة والعملاء الذين تعـــاونوا مع الاحتلال الفرنسي، وما دام متعاوناً مع الاحتلال أي خائناً لبلاده فـــلا مانع لديه أن يتخلى عن عرضه وشرفه، فيقدم ابنته القاصر التي كانـــت تبلغ ستة عشر عامًا في ذلك الوقت إلى جنود الاحتلال للتمتع بها لينـــال بذلك الحظوة لدى الاحتلال، وهذا بالطبع أسوأ ما يكون الرمز والمثل.

أما هوى فهي امرأة ساقطة تعيش مع أي صاحب سلطان سواء كان مملوكيًـــا أو تركيًا فرنسيًا، وتهرب من هذا إلى ذاك، أو تهرب منهم جميعًا [1].

---

(١) محمد جلال كشك – مرجع سابق.

قاسم أمين داعية للتحـــرر المزيـــف

أما قاسم أمين الذي يعتبره كل رواد ودعاة حركة تحـــرر المـــرأة المزيف رائدًا له، فأمره محير، فهو مؤلف كتـــاب "المصـــريون" ســـنة ١٨٩٤ باللغة الفرنسية، وقد أورده الدكتور محمد عمارة الكاملـــة لقاســـم أمين(١)، وهو كتاب دافع فيه قاسم أمين عن الإسلام وعن المرأة المسلمة كأفضل ما يكون الدفاع وكأنه شيخ متعصب بل ومتزمت، وهو في كتابه الثاني "تحرير المرأة" يقف موقفًا وسطًا قريبًا من مدرسة الإمـــام محمـــد عبده التوفيقية، وفي كتابه الثالث "المرأة الجديدة" يدعو إلى خلـــع الـــدين تمامًا والتبرؤ من الإسلام والأخذ بكل الثقافة الغربية فيما يخص المـــرأة، بل يهاجم الإسلام هجومًا مريرًا.

وبعيدًا عن الخوض في أسباب هذا التغير في فكر قاسم أمين، فـــإن ما يعنينا هنا أن مدرسة التحرير المزيف للمرأة أخـــذت كتابـــه الثالـــث واعتبرته مرجعًا لتحرير المرأة بل واعتبرت قاسم أمين، رائدًا لتحريـــر المرأة والمسألة هنا ليست قيمة فكر قاسم أمين المضـــطرب ولا دعوتـــه ولكن المسألة في أصلها كما هي دائمًا مسألة أن هؤلاء الـــذين يرفعـــون رايات تحرر المرأة، المزيف لا يريدون إلا القضاء على الإسلام والكيـــد له، وذلك بالطبع خدمة لأسيادهم ومحركيهم من الأوروبيين والأمـــريكيين

---

(١) د. محمد عمارة – الأعمال الكاملة لقاسم أمين.

الذين يدركون أن الإسلام هو وحده العقبة الرئيسية للسيطرة على بلادنـــا ونهبها وتنفيذ مخططاتهم فيها.

ومما يؤكد هذا الأمر أن قاسم أمين الداعي إلى تحرير المرأة، هـــو نفسه الذي يقف معارضًا لتحرير مصر من الإنجليز بل يهاجم كل زعماء حركة التحرر الوطني في ذلك الوقت أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد، ولأن مصطفى كامل كان يفهم الدافع وراء قاسم أمين وحقيقة دعواه فإنه تصدى بنفسه كتاب جريدة "اللواء" الناطقة بلسان الحزب الوطني في ذلك الوقت لتفنيد آراء قاسم أمين والتأكيد على المضمون الحقيقـــي لتحـــرر المرأة المسلمة.

قاسم أمين هو أحد المروجين للاستعمار، وهو أحد أعضاء حـــزب الأمة وهو الحزب المعروف بولائه للإنجليز وخيانته للقضـــية الوطنيـــة، ولم يكن عجيبًا أن تدافع "الجريدة" وهي صحيفة حزب الأمة عـــن قاســـم أمين وآرائه لأنها تصب في خانة خدمة الإنجليز.

"قاسم أمين محرر المرأة نفسه الذي يصف مصطفى كامـــل بأنـــه نصاب، وهو الذي يرى أن الاستعمار الإنجليـــزي هـــو الـــذي حررنـــا وأسرف في تحريرنا فقد كنا محكومين بالاستبداد، ولما احتلنـــا الجـــيش

البريطاني وأصبحت مصر تحكم من دار المنـدوب السـامي أصـبحنا أحرارًا ونحب الحرية وبدأ التعليم الصحيح ينتشر بين أفراد أمتنا[1].

أما عن نوال السعداوي فقد كشفها وعراها زميلاتهـا فـي حركـة تضامن المرأة المزعوم، وقد اعترفت نوال السعداوي بنفسها بأن الـذين مولوا مؤتمر تضامن المرأة المنعقد في القاهرة سنة ١٩٨٦م فـي أفخـم فنادقها وهو فندق النيل كانوا من الهيئات الأجنبية المشبوهة.

تقول جريدة "الأهالي" وهي جريدة قريبة الاتجاه لأمثـال د. نـوال السعداوي وليس من مصلحتها فضحها ومع ذلك اضـطرت للاعتـراف بالحقيقة فنقلت اعترافات نوال السعداوي – تقول جريدة الأهالي "عنـدما سألت إحدى المشتركات عن مصادر تمويل هذا المؤتمر أجابت د. نوال السعداوي رئيس المؤتمر ورئيس جمعية تضامن المرأة العربية أن هناك بالفعل جهات أجنبية قامت بتمويل المؤتمر فقد أرسلت رسائل إلـى مـا يقرب من مائة جهة طلبًا لتمويل المؤتمر واستجابت لها ثلاث جهات فقط هي جمعية نوفيك الهولندية، ومكتب مؤسسة فورد فونديشـن الأمريكيـة بالقاهرة، ومكتب اكسفوان الأجنبي بالقاهرة، وأضافت د. نوال السعداوي أن مكتب مؤسسة فورد فونديشن بالقاهرة هو الذي تحمل نفقـات سـفر المشاركات فقط وتحملت المكاتب الأخرى باقي النفقات، وقالت د. نـوال

(١) نقلاً عن جلال كشك – جهالات عصر التنوير – مكتبة التـراث الإسـلامي – القـاهرة – ١٩٩٠.

السعداوي إن مكتب هيئة المعونة الأمريكي في القاهرة "الأيـد" سـوف سيتحمل نفقات طبع كتاب باللغة العربية والإنجليزية لأهم الأبحاث التـي نوقشت في لجان المؤتمر "[1].

وبالطبع كان من البديهي أن تنسحب الشخصيات النسائية والوفـود النسائية التي ما زال لها بقية من احترام نفسها أو تلك التي لا تريـد أن تسقط ورقة التوت عن عورتها في هذا المؤتمر المشبوه الـذي افتضـح أمره.

وكانت وما زالت تلك الحركات المشبوهة تستخدم قضـية تحريـر المرأة كقفاز للهجوم على الإسلام، وها هي إحدى السيدات تقـول تلـك الحقيقة بعد أن اكتشفتها من خلال هذا المؤتمر، تقول السيدة نفيسة عابـد في مجلة صباح الخير "ولست أدري لماذا يهاجم الإسلام من بعض الذين يدعون أو يدعون الدعوة إلى حرية المرأة أو المطالبة بحقوقهـا، فهـذا الهجوم يحمل في طياته ما يقنعني تمامًا بعدم صدق دعواهم"[2].

ونقول لهذه السـيدة عليـك الآن أن تـدري أن تلـك الـدعوات والمؤتمرات والحركات ما صنعت أساسًا من أجل المرأة، بل من أجـل الهجوم على الإسلام خدمة لأهداف الغرب الاستعماري.

(١) جريدة الأهالي – سبتمبر ١٩٨٦ وانظر أيضًا أخبار اليوم – روز اليوسف وغيرها من الصحف والمجلات التي غطت أخبار المؤتمر .

(٢) مجلة صباح الخير – سبتمبر ١٩٨٦.

وهكذا فإن الحقائق الواضحة حول حركة تحرير المـرأة الحقيقـي وحركة تحرر المرأة المزيف تقول إن حركة تحرر المرأة الحقيقي هـي تلك التي تؤكد على مقاومة الاحتلال ورفض الاستبداد والتمسك بالهويـة والثقافة الوطنية، وأن حركة تحرر المرأة المزيف مـا هـي إلا حركـة مصنوعة وممولة من الاسـتعمار ويقـف علـى رأسـها المشـبوهون والمشبوهات ممن تعاونوا مع الاحتلال ودعوا إلى رفض الثقافة الوطنية والاندماج في ثقافة المحتل، فهذه الحركة المزيفة ما هي إلا قناع للهجوم على الإسلام لخدمة أهداف الاستعمار باعتبار أن الإسـلام هـو العقبـة الرئيسية أمام المخططات الاستعمارية وباعتبارها الإيديولوجية الوحيـدة القادرة على تحقيق النهضة والتقدم في بلادنا، ولنتأمل في قول المبشـرة أنا ميليمان: " ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسـافة مـن إبعـاد المرأة المسلمة والفتاة المسلمة عن آداب الإسلام وشرائعه ".

الفهـــرس